كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٣) ديسمبر ٢٠٢٣م

اليأس وعلاجه في القرآن الكريم

الدكتورة
هناء عبدالعال محمد الرفاعي
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
في كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالمنصورة
جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

يتناول هذا البحث تحت عنوان (اليأس وعلاجه في القرآن الكريم) آفة نفسية تعترض الإنسان فتؤدى إلى تدميره إن تمكنت منه واستسلم لها وهى اليأس، فيتطرق في التمهيد إلى معنى اليأس والألفاظ المرادفة له ، والفرق بينهما، والحكم الشرعي بدليل من القرآن الكريم ، ثم يحاول معرفة أسبابه من خلال استقراء آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر اليأس ، وبيان الآثار المترتبة عليه، وتكمن أهمية البحث في كونه يبين العلاج الرباني لليأس من خلال القرآن الكريم.

ويعتمد البحث على المنهج الاستقرائي يسانده المنهج الاستنباطي، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

أن اليأس أعم من القنوط وحكمهما التحريم، وأن ابتلاءات الدنيا توقع الإنسان في وحل اليأس مما يجعله يسيء الظن بالله، ويستمر في ارتكاب المعاصي ويعجز ويكسل عن تحصيل الأسباب التي تمنع هذه الآفة من التمكن من نفسه؛ وذلك لضعف ارادته وموت همته، وأن النهى عن اليأس والقنوط يدفع المؤمن إلى الانتهاء عنهما طاعة لله واستجابة لأمره، وأن إخبار الله تعالى للإنسان عن رحمته الواسعة ودعوته إلى التوبة والاستغفار يبعد اليأس عن النفس، وبحسن الظن بالله وبرجائه والتوكل عليه يتقوى على يأسه.

والصبر والرضا بالقضاء والقدر يحمى من الوقوع في براثن اليأس، والحذر من كثرة المعاصي وتسويف التوبة، والحرص على عدم الاستسلام لهذه الآفة ومحاولة دحرها في بداياتها والتوصية بدراسة أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على النفس اليائسة والقانطة.

الكلمات المفتاحية: اليأس، مفهومه، أسبابه، صوره، علاجه.

Despair and it's treatment in the Ever-Glorious Qur'an

Abstract:

This research is entitled “Despair and its Treatment in the Holy Qur’an”.

Despair and its treatment in the Holy Quran:

This research talks about a psychological evil that confronts a person and leads to his destruction if it masters him and he surrenders to it, which is despair. In the introduction and the first chapter, it addresses the meaning of despair, the words that are synonymous with it, the difference between them, and the legal ruling with evidence from the Holy Qur’an, then knowing its causes through extrapolating the verses of the Qur’an in which it is mentioned. Despair, and explaining the effects of these bad feelings. Then in the second chapter lies the importance of the research, as it shows the divine treatment for despair and despair through the Holy Qur’an, which did not neglect this feeling.

The research followed the inductive and deductive approach, and one of the most prominent results that emerged is that despair is more general than despair, and their ruling is prohibition and indulging in sins. The afflictions of this world cause a person to fall into the mire of despair, which makes him think poorly of God, and continue to commit sins, and are unable and lazy to find the reasons that prevent this affliction from occurring. From himself, this is due to the weakness of his will and the death of his determination, and the prohibition against despair prompts the believer to refrain from them in obedience to God and in response to God’s command, and informing God of His vast mercy and His call to repentance and seeking forgiveness keeps despair away from the soul, and by having a good belief in God, hoping for it, and trusting in Him, he strengthens his despair, patience, and contentment with destiny and destiny. It protects you from falling into the clutches of despair.

Beware of frequent sins and procrastination in repentance, be careful not to succumb to this scourge and try to defeat it at its beginning and recommend studying the effect of belief in the names and attributes of God on the miserable and despairing soul.

Keywords: Despair, His concept, Its causes, picture His treatment

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي ترجوه قلوب المؤمنين، الحمد لله على نعمائه والشكر له على أفضاله القائل في كتابه الكريم قال تعالى ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال تعالى ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.(١)

والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد،**

القرآن الكريم دستور الأمة، وفيه علاج كل أمور الحياة، ويحتوي على تشريعات حكيمة لسائر أمور الحياة، ومنها ما يعترض النفس من آفات، وأمراض تصيب الإنسان في نفسه قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.(٢)

ومن هذه الآفات النفسية التي تصيب الإنسان: اليأس، فهذه الآفة تحطم في النفس الرغبة في العمل وفى الحياة والبناء والنهضة، بل وتدمر الروح الإيجابية التي ينبغى أن يتحلى بها الإنسان، وهذه الآفة إن تمكنت من النفس أدت في النهاية إلى الانتحار الذي يظن اليائس أنه حل للمعاناة، وهنا تكمن الخطورة فإن الإنسان إذا ترك اليأس يتمكن منه فإن ذلك مخالف لشرع الله وللفطرة التي فطر الله الناس عليها.

لذا كان هذا البحث بعنوان " اليأس وعلاجه في القرآن الكريم " رغبة لحل المشكلة والحد من انتشارها والدعوة إلى التمسك بحبل الله المتين.

(١) سورة الزمر، من الآية ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٧.

أهمية هذا البحث:

جاء هذا البحث محاولة للتأمل في الآيات التي تحدثت عن اليأس، وتناولته في سياقها القرآني المعجز، وكان من مبررات هذه الدراسة إضافة لأهمية الموضوع: محاولة الوصول إلى دراسة وافية كافية في هذا الجانب تفتح الباب أمام الدارسين لمواصلة الاستقصاء لإثراء المكتبة العربية.

خطة البحث:

هذا وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما **المقدمة**: فقد ذكرت فيها أهميته، وخطته وتقسيماته.

أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن:

أ- مفهوم اليأس لغة واصطلاحا

ب- ألفاظ وردت في القرآن الكريم تحمل معنى اليأس.

ج- حكم اليأس.

المبحث الأول: أسباب اليأس ويشتمل على:

المطلب الأول: الجهل برحمة الله ﷻ وارتكاب المعاصي

المطلب الثاني: الابتلاءات والمحن

المبحث الثاني: صور اليأس في القرآن الكريم ويشتمل على:

المطلب الأول: اليأس من رحمة الله.

المطلب الثاني: اليأس من إنزال الغيث.

المطلب الثالث: يأس الكفار من دين الله.

المبحث الثالث: جزاء اليائسين والآثار المترتبة على اليأس والقنوط ويشتمل على:

المطلب الأول: استحقاقهم غضب الله.

المطلب الثاني: استحقاقهم العذاب الأليم.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

المبحث الرابع: سبل الوقاية والعلاج من اليأس ويشتمل على:

المطلب الأول: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح

المطلب الثاني: المحافظة على الصلوات في أوقاتها.

المطلب الثالث: المداومة على قراءة القرآن الكريم

المطلب الرابع: التمسك بالرجاء والأمل المحمود

المطلب الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب السادس: حسن الظن بالله.

المطلب السابع: الإكثار من الذكر والدعاء.

المطلب الثامن: الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط.

المطلب التاسع: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى.

أما الخاتمة: فقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات المرجوة.

وفي الختام: فهذا عملي وجهدي الذي أسأل الله تعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله بابا لتحصيل العلم النافع، وما قمت به في دراستي هذه ما هو إلا محاولة مني ومساهمة في توجيه أنظار واهتمامات الباحثين في الدراسات الشرعية والدراسات الإنسانية والاجتماعية إلى أهمية وضرورة الرجوع لكتاب الله -ﷻ- للاستفادة من معينه الذي لا ينضب، ومعالمه، وتوجيهاته الهادية للتي هي أقوم ..

ولا شك أن الإنسان معرض للخطأ والنسيان، فإن أصبت في محاولتي هذه فمن الله تعالى وعونه، وإن أخطأت فمن نفسي وقولي، وأسأل الله تعالى العفو والمغفرة، كما قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "فإن يك صوابا فمن الله ﷻ وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطانَ. [1]

هذا وأحمد الله ﷻ على توفيقه وتسديده، وأشكره على نعمه وتأييده، سائله المولى سبحانه أن يعينني على إتمام هذا البحث، وأن يوفقني إلى ما يحب ويرضى إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند ،١/٤٤٧، كتاب مسند ا لمكثرين، باب مسند عبدالله بن مسعود (ح٤٢٦٧)، وأبو داوود في السنن (٢/ ٢٣٧) كتاب النكاح، باب من تزوج ولم يسم صداقا ح ٢١١٦.

التمهيد ويشتمل على

أ ـ مفهوم اليأس لغة واصطلاحا.

ب ـ ألفاظ وردت في القرآن الكريم تحمل معنى اليأس.

جـ ـ حكم اليأس.

أولا: مفهوم اليأس لغة واصطلاحا:

أ- اليأس لغة:

وفيه لغتان: الأولى من يئس ييئس ويأس، مثل حسب يحسب ويحسب، وهذا ورد عن الأصمعي [١].

والمادة تدور حول "انقطاع الأمل، وضده الرجاء، واليأس هو القنوط"[٢].

والثانية: من أيس يأيس، وآيسته أي: أيأسته وهو اليأس والإياس.[٣]

وقد ذكر ابن سيده رأيا آخر في هذه المسألة، وهو أن: (أيس) مقلوب من (يئس)، وليس بلغة فيه بدليل أنه لو لم يكن مقلوبا لأعلوه، بالإضافة إلى أنه لا مصدر لقولنا " أيس"، ولما لم يكن له مصدر علم أنه لا أصل له، وإنما المصدر: (اليأس)، وهذا من (يئست).[٤]

وإذا كان (اليأس) مأخوذا من (يئس): فإنه بمعنى القنوط وقطع الأمل عن الشيء، وهو ضد الرجاء.[٥]

---

(١) الأزهري، أبا منصور، محمد بن أحمد (ت:٣٧٠هـ) تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت (ط١/ ٢٠٠١ م) (٩٧/١٣).

(٢) الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني (ت١٣٠١هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط الفكر –بيروت.

(٣) ابن منظور، أبا الفضل، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت:٧٥٠هـ) لسان العرب، دار صادر –بيروت (ط١/هـ١٤١٠) (٢٥٦/٦).

(٤) ابن سيده، أبا الحسن، على بن إسماعيل المرسي (ت:٤٥٨هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية -بيروت، (ط١/ ٢٠٠٠ هـ) ، (٦٣١/٨) ، ابن جنى، أبا الفتح :٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، عالم الكتب – بيروت(٤٤٠/٢)،د.ط،دت.

(٥) الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني (ت١٣٠١هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس، ط الهداية – (٤٩/١٧).

أما إذا كان (اليأس) مأخوذا من (أيس) فإنه يحتمل المعاني الآتية:

١- الوجد، قال الليث: " لا أيس، أي لا وجد، يقال: التأييس: الاستقلال، ما أيسنا فلانا خيرا أي: ما استقللنا منه خيرا، أي: أردته لأستخرج منه شيئا فما قدرت عليه "[١].

٢- القهر.[٢]

وكلتا اللغتين وردتا في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾.[٤]

ويمكن القول بأن القرآن الكريم نزل بلغة من قرأ " يئس".[٥]

وجميع المواضع التي وردت فيها مادة اليأس في القرآن الكريم يمكن ردها إلى اللغة الأولى.

ثانيا: اليأس في الاصطلاح:

هو: "انتفاء الطمع"[٦]

وعرفه ابن الجوزي بأنه: "القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقق فواته".[٧]

ويمكن الجمع بين التعريفين بلغة سهلة بسيطة، فيقال: اليأس هو: انتفاء الطمع في أمر ما لتحقق فواته، والقطع بأنه غير ممكن الحصول، وهذا ما أشار إليه **ابن رجب الحنبلي** بقوله:

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة (٩٧/١٣-٩٨) .

(٢) الفيروز آبادى، مجد الدين بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة –بيروت ص (٦٨٤).

(٣) سورة يوسف من الآية ١١٠.

(٤) سورة يوسف من الآية ٨٠.

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة " ٩٧/١٣).

(٦) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلانى، دار المعرفة- لبنان. (ص: ٥٥٢).

(٧) ابن الجوزي، أبى الفرج عبدالرحمن، (ت: ٥٩٧هـ) نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي. مؤسسة الرسالة،بيروت – لبنان،(ط ١/١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٦٣٣..

" إن الإنسان إذا أيس من شيء استغنى عنه، وقل طمعه فيه ".[١]

وكذا اليأس هو: إحباط يصيب الروح والعقل معا، فيفقد الإنسان الأمل في إمكانية تغير الأحوال والأوضاع والأمور من حوله، مما يجعل من تمكن منه التفكير في الإقدام على الانتحار.

وعرف علماء النفس اليأس بأنه: "حالة وجدانية تبعث على الكآبة، وتتسم بتوقع الفرد السلبية نحو الحياة والمستقبل، وخيبة الأمل أو التعاسة، وتعميم ذلك الفشل في كل محاولة ".[٢]

ومن خلال هذا التعريف يتضمن اليأس ثلاث سلبيات:

الأول: الاتجاه السلبي نحو الذات، ويعرف بأنه: تكوين الفرد لاتجاهات فردية نحو ذاته فيصفها بالعجز والنقص، والكسل، والتحقير والكراهية.

الثاني: الاتجاه السلبي الثاني نحو الحاضر، ويعرف بأنه: إحساس الفرد باتجاهات سلبية نحو حاضره، متمثلة في سوء الحظ، والعجز عن تحويل الأمور لصالحها، والفشل المستمر، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.[٣]

الثالث: الاتجاه السلبي نحو المستقبل، ويعرف بأنه: اتخاذ الفرد اتجاهات تتصف بالخوف من المستقبل، والتشاؤم من سوء الأحوال، أو عدم السعادة في مستقبل حياته.

وخلاصة القول: فإن اليأس مرض نفسي يصيب الإنسان، يدفع صاحبه إلى كره للحياة، وضيق صدره بها، ويجعله يتمنى الموت، وتهون عليه حياته، ويري كل شيء حوله بمنظور قاتم، يبدل المشاهد لديه، فيحرم نفسه هدوء البال والطمأنينة ورغد عيشه، فإذا ترك نفسه لليأس، نغصت عيشته ولا يفارقه إحساس التشاؤم، ويحدث لديه شعور يبعث

(١) ابن رجب، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي (ت:٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باحس، مؤسسة الرسالة– بيروت (ط٧/١٤١٧هـ/١٩٩٧م)(ص: ٣٠٠).

(٢) معمرية، بشير، بحوث ودراسات في علم النفس، المكتبة العصرية – المنصورة (ط١/٢٠٠٩م)(٣/٦٢-٦٣).

(٣) المرجع السابق (٣/٦٣).

على الخوف، فتتألم نفسه، ويجفوه النوم، ولربما كل ذلك يدعوه للتخلص من كل هذه المشاعر بإنهاء حياته.

ألفاظ وردت في القرآن الكريم تحمل معنى اليأس:

"هناك ألفاظ في القرآن الكريم لها بعض الدلالات والمعاني المشتركة والمتقاربة ويظن الناظر فيها لأول وهلة أنها مترادفة، ولكن القرآن الكريم منزه عن مثل هذا الترادف، فما من كلمة في البيان المعجز يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخري، وإن التقت معها في أصل معناها فلكل كلمة من تنغيمها ومضمونها وشكلها من السمات الخاصة التي لن تكون مجتمعة في غيرها البتة ".[١]

ومن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتحمل معنى اليأس: القنوط، الإبلاس، الخيبة، السأم، الهلع.

١-القنوط:

أ- لغة:

مشتق من مادة (ق ن ط)، يقال: قنط يقنط ويقنط قنوطا، وهو اليأس.[٢]

ب- **اصطلاحا:** "القنوط: اليأس من الرحمة ".[٣]

وقد فسر القنوط هنا باليأس، **قال الألوسي في معرض تفسيره لقوله تعالى** ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[٤]:" أيها المؤمنون المذنبون لا تيأسوا من مغفرته سبحانه وتفضله ﷻ.[٥]

وبناءً على هذا التعريف يكون معنى القنوط: انقطاع الرجاء في حصول الرحمة خاصة.

---

(١) توفيق محمود، شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية. (ط١/١٤٢٢هـ) (ص: ٣٣).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٠/٥٧).

(٣) الألوسي، أبا الفضل محمود (ت: ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثانى، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٢٤/١٣).

(٤) سورة الزمر من الآية ٥٣.

(٥) المصدر السابق (٢٤/١٣).

الفرق بين اليأس والقنوط:

يظهر من الناحية اللغوية أن اليأس والقنوط مترادفان، لكن المعنى الاصطلاحي أظهر فرقا بينهما، وعند التأمل في السياق القرآني التي وردت فيه هاتان اللفظتان نلاحظ أن كلا منهما وضعت في المكان المناسب فلا يمكن استبدال أحدهما بالأخرى، لأن المعنى سيختل، "والقرآن الكريم يورد كل لفظة في المعنى الأخص به ".[١]

"وقد جاء في كتاب الفروق اللغوية أن القنوط أشد مبالغة من اليأس". [٢]

وقال الألوسي:

"**اليأس:**" عدم تأمل وقوع شيء من أنواع الرحمة، والقنوط هو ذلك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع "[٣]، بالإضافة إلى أن القنوط "يتجاوز إحساس اليأس إلى ظاهرة البدن بالتضاؤل والانكسار ".[٤]

وقال ابن الجوزي: " أن القنوط ثمرة اليأس ".[٥]

ولا عجب أن يكون القنوط الذي هو ثمرة اليأس أشد مبالغة وأشد تأثيرا على النفس من مجرد الإحساس باليأس، فثمرة الشيء تكون بالعادة أشد قوة وتركيزا وفعالية من الأصل.

والقنوط هو الأقرب إلى معني اليأس من بقية الألفاظ في القرآن الكريم حتى أننا نلحظ تشابه الآيات التي فيها حديث عن اليأس مع الآيات التي فيها حديث عن القنوط،

(١) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية _ بيروت، (ط٣/١٤١٥هـ) (ص: ٢٠٣).

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، (ت: ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة. (ص: ٢٤٥).

(٣) الألوسي، أبا الفضل محمود (ت: ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٤٥/١٣).

(٤) النسفي، أبا البركات، عبدالله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ) تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس –بيروت (ط ٢٠٠٥م) (٩٤/٤).

(٥) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، (ص: ٦٣٣).

وما ترتب على ذلك من تشابه في الحكم والعلاج فقد قال تعالى في سورة الزمر ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾(١)

وقال تعالى في سورة يوسف على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾(٢)

فالله ﷻ يحذر في الآيتين من أمر واحد، وهو: اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته، وقال تعالى في موضع آخر على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.(٣) وفي آية أخري قال عز من قائل على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾(٤)

ففي الآيتين تشابه في الحكم على كل من اليائس والقانط، فهما إما كافر وإما ضال، وقد نلحظ هذا التشابه أيضا في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾(٥).

وفي قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾(٦)

فقد ورد في الآيتين المذكورتين وصف للإنسان في حالة الضراء باليأس والقنوط، وقد عبر القرآن الكريم عن الضراء في الآية الأولى بعبارة ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، وفي الآية الثانية عبر عنه بعبارة: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، والعبارتان تؤديان المعني نفسه، بالإضافة إلى أنه قد اجتمع للإنسان وصف باليأس والقنوط في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ

(١) سورة الزمر من الآية ٥٣.
(٢) سورة يوسف من الآية ٨٧.
(٣) سورة الحجر آية ٥٦.
(٤) سورة يوسف من الآية ٨٧ .
(٥) سورة الإسراء آية ٨٣ .
(٦) سورة الروم آية ٣٦ .

ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾[١]، وهى تحمل أيضا معنى الآيتين السابقتين.

ولفظة اليأس تأتى في سياق الحديث عن الكفر وأنه من صفات الكافرين قال تعالى ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [٢]

واليأس كما سبق: هو انقطاع الرجاء في حصول المطلوب عامة، فالكفار أنكروا البعث وما بعده، وجحدوا آيات الله وانقطع رجاؤهم بالآخرة ونعيم الجنة، ويأتي اليأس قرينا للشر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾ أما لفظة القنوط جاءت في سياق الحديث عن الرحمة قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ وقال تعالى ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ وفى قوله تعالى ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾[٣]. ذكرت الآية اليأس من حيث إنه قرين الشر، واتبعته بالقنوط من حيث إنه يأس من الخير.

مما سبق نستنتج: أن اليأس أعم من القنوط فهو انقطاع الرجاء من أي شيء، والقنوط هو انقطاع الرجاء في حصول الخير والرحمة خاصة.

"واليأس والقنوط من الأمور التي طبع عليها الجنس البشري، فمن أراد الله به خيرا عصمه، ومن أراد به شرا أجراه مع الطبع فكان كافرا "[٤].

---

(١) سورة فصلت آية ٤٩ .

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٣..

(٣) سورة فصلت الآية ٤٩.

(٤) البقاعي، أبا الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية –بيروت (ط١٤١٥هـ/١٩٩٥م)(٦/٥٨٧).

٢- الإبلاس:

الإبلاس في اللغة: "يأتي بمعنى اليأس، والقنوط، وقطع الرجاء، وبمعنى الانكسار والحزن، يقال: أبلس فلان: إذا سكت غما وحزنا ".(١)

قال الأزهري في تهذيب اللغة: " وقيل: إن إبليس سمي بهذا الاسم، لأنه لما أوبس من رحمة الله أبلس إبلاسا ".(٢)

وعرفه الراغب الأصفهاني قائلا:" الإبلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس، ولما كان المبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسي ما يعنيه قيل: أبلس فلان: إذا سكت وانقطعت حجته "(٣).

وعند الذهبي: الإبلاس: " اليأس من النجاة عند ورود الهلكة "(٤).

من هنا تظهر علاقة الإبلاس باليأس، فالحزن والغم والانكسار والسكوت كلها صفات يجمعها كل من اليائس والمبلس بين جنبيه. قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾﴾(٥). أي أيسون من كل خير وهذا أشد ما يكون من العذاب.(٦)

٣- الخيبة:

الخيبة في اللغة تدورحول المعاني الآتية:

١-حرمان الحظ.

٢-الفقر والجوع.

٣-الكفر والخسران "(٧).

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت:٧٢١هـ) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان –بيروت طبعة سنة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) (ص:٢٦) ابن منظور، لسان العرب (٣٠/٦)، الزبيدي، تاج العروس (٤٦٤/١٥).

(٢) تهذيب اللغة (٣٠٦/١٢)..

(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:٦٠) بتصرف.

(٤) الذهبي، أبو عبدالله محمد شمس الدين، (ت:٧٤٨هـ)، الكبائر، مطبعة الأنوار المحمدية –القاهرة، (ص:٢٥٠).

(٥) سورة الروم الآية ١٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدى ص ٢٤٩ المكتبة التوفيقية.

(٧) (الأزهري، تهذيب اللغة (٢٤٥/٧).

أما في الاصطلاح: فإن الخيبة تعني: " فوت الطلب"[١]، "وانقطاع الأمل "[٢]

فهناك علاقة وثيقة بين الخيبة واليأس، فكلا اللفظين يحملان بين حروفهما انقطاع الأمل والرجاء، ولكن الخيبة تفترق عن اليأس في كونها لا تكون إلا بعد الأمل، فهي امتناع نيل ما أمل، أما اليأس فقد يكون قبل الأمل وبعده، بالإضافة إلى أن اليأس نقيضه الرجاء، بينما الخيبة نقيضها الظفر.[٣]

قال تعالى ﴿*وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾[٤]

ومعنى (خاب) هنا: " يئس من رحمة الله "[٥].

وفسر لفظ (خاب) في قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾[٦] " يئس من الإجابة"[٧].

وأما معنى خائبين في قوله تعالى: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾[٨] أي: منقطعي الآمال " [٩]

٤- السأم:

السأم في اللغة بمعنى: " الملل والضجر " [١٠]

---

(١) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: ١٦٠).

(٢) الألوسي، روح المعاني (٤٩/٤).

(٣) العسكري: الفروق اللغوية (ص:٢٤٥).

(٤) سورة طه آية ١١١.

(٥) النسفي، مدارك التنزيل (٦٨/٣)..

(٦) سورة إبراهيم آية:١٥.

(٧) ابن الجوزي، أبا الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد (ت:٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي– بيروت (ط٣/١٤٠٤هـ) (٣٥١/٤).

(٨) سورة آل عمران آية:١٢٧.

(٩) الألوسي أبو الفضل محمود، (ت:١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٤٩/٤)، البيضاوي عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:٦٨٥هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر –بيروت (٩٠/٢).

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، (٢٨٠/١٢) .

وبمعنى: " الموت " [١]

وقال ابن سيدة: " عروق الذهب والفضة "[٢]

أما معنى السأم في الاصطلاح:

فإنه لا يختلف عن معناه في اللغة فهو: "الملالة مما يكثر لبثه فعلا كان أو انفعالا " [٣].

العلاقة بين السأم واليأس:

ومن الملاحظ وجود علاقة بين السأم واليأس، وهذه العلاقة توضحها الآية الكريمة التي اجتمع فيها ذكر السأم واليأس، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾[٤]، حيث إن الله ﷻ وصف الإنسان الكافر في حالة طلبه الخير والنعمة وفى حالة أصابه الشر والنقمة، فهو في حالة الشر يصيبه اليأس والملل والإحباط، أما في حالة الخير فإنه لا يسأم ولا ييأس من طلبه والسعي للحصول عليه، فهنا يظهر تقارب المعنى بين اليأس والسأم من خلال المقابلة بين حالتي السراء والضراء بالنسبة للإنسان الكافر، فهو في الأولى لا يمل ولا يفتر وفى الثانية ييأس ويقنط.

٥- الهلع:

ذكر الهلع في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المعارج في قوله تعالى ﴿*إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾[٥].

الهلع في اللغة: "قيل: هو أسوأ الجزع "[٦]

---

(١) الرازي، مختار الصحاح (ص ١٣٥).

(٢)(ابن سيده، المحكم (٦٢٦/٨) .

(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:٢٥١).

(٤) سورة فصلت آية ٤٩..

(٥) سورة المعارج آية ١٩ .

(٦) ابن سيده (١٢٤/١).

والهلوع: من يجزع ويفزع من الشر، ويحرص ويشح على المال، أو الضجور لا يصبر على المصائب "[١]

ويأتي الهلع أيضا بمعنى: "الحزن " [٢]

وبمعنى:" الحرص "[٣]

من خلال ما سبق يتبين أن: الهلع يدخل تحت نطاق اليأس، وذلك لأن من معاني الهلع: الجزع والحزن والضجر الذي يعنى: " القلق من الغم " [٤]

ومن الملاحظ أن هناك ارتباطا بين مفهوم اليأس ونظائره في القرآن الكريم، فاليأس يتضمن جميع معانى القنوط والإبلاس والخيبة والسأم والهلع، مع ظهور علامات الانكسار والضجر والحزن وفقدان الأمل عند اليائس.

حكم اليأس:

وضح القرآن الكريم ضمن جملة تشريعاته وأحكامه حكم هذه الآفة النفسية من عدة وجوه:

أولا: جاء النهى عن اليأس ونظائره متمثلا في قوله تعالى ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٥] وقوله تعالى ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[٦]والنهي يفيد التحريم، لأن الأصل في الآية أنه للتحريم "[٧]

(١) القاموس المحيط. الفيروز آبادي ص ١٠٠٢.

(٢) الرازي مختار الصحاح، ص ٢٩٠.

(٣) الفراهيدي، أبا عبدالرحمن، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال (١٠٥/٥) (١٠٧/١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٦٢/٦) .

(٤) ابن منظور، لسان العرب (٣٧٥/٤) .

(٥) سورة يوسف الآية ٨٧ .

(٦) سورة الزمر آية ٥٣.

(٧) قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد عثمان السبت، دار ابن القيم، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ،(٣٩/٢-٤٠).

ثانيا: مجيء اليأس ونظائره في آيات القرآن الكريم في سياق الذم والزجر يدل على النهي غير الصريح ويدل على طلب الترك. قال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾[١] وقال تعالى ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝٨٣﴾[٢] وقوله تعالى ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝٣٦﴾[٣]

ثالثا: حين يستسلم الإنسان لمشاعر اليأس فهو بذلك يكون قد أساء الظن بالله وهذا من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب ويكون منكرا لقدرته سبحانه وإرادته في تصريف الأقدار كيفما يشاء، منكرا للآيات الصريحة التي تدل على سعة رحمته، وأنه الغفور التواب.

قال تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾[٤] ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٥] فيجب على الإنسان أن يستعظم رحمة الله، وأنها وسعته فلا ييأس من رحمة الله ولا يدع لليأس طريقا يدخل الشيطان منه.

---

(١)سورة هود آية ٩ .

(٢) سورة الإسراء آية٨٣ .

(٣) سورة الروم آية ٣٦.

(٤) سورة الأنعام من آية ٥٤.

(٥) الأعراف: ١٥٦.

المبحث الأول: أسباب اليأس

المطلب الأول: الجهل برحمة الله ﷻ وارتكاب المعاصي

المطلب الثاني: الابتلاءات والمحن

أسباب اليأس وصوره وجزائه:

المبحث الأول: أسباب اليأس:

إن مشاعر اليأس والقنوط التي تنشأ في النفس الإنسانية لابد أن يكون لها أسباب مهدت لها وساهمت في تمكنها من النفس ومن أهم هذه الأسباب:

المطلب الأول: الجهل برحمة الله ﷻ وارتكاب المعاصي:

هناك علاقة وثيقة وتلازما قويا بين الجهل برحمة الله تعالى واليأس ومرتكب المعاصي، فلا شك أنهم يائسون من رحمة الله لا محالة، وما ذلك إلا لأنه قطع الصلة بينه وبين خالقه، واليائس من رحمة الله القانط مما عنده سبحانه، كافر جاحد، إذا هو أصر على اليأس وداوم عليه، فإن الإنسان لا يكفر إلا وقد يئس من اتصال قلبه بالله، ولم يعد له إلى رحمة الله سبيل.

قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: " فهم لما كفروا أخرجوا أنفسهم عن محل الرحمة، لأن من يكون له جهة واحدة تدفع حاجته لا غير، يرحم، وإذا كان له جهات متعددة لا يبقي محلا للرحمة، فإذا جعلوا لهم آلهة، لم يعترفوا بالحاجة إلى طريق متعين، فييأسوا من رحمة الله "[2]

وقد عد القرآن الكريم اليائسين من جملة الكافرين، حتى إنه استعمل أداة الحصر للدلالة على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

(١) سورة العنكبوت آية ٢٣ .

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٤٥/٢٥).

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾، وذلك " لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته، فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال"(١)

يقول الفخر الرازي:

" واعلم أن اليأس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم، واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحدها، وكل منها كفر، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافرا "(٢)

وعلى نسق مشابه عد القرآن الكريم القانطين اليائسين من رحمة الله تعالى ضالين مخطئين، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾(٣)، وذلك لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند جهل الإنسان بقدرة الله تعالى.

فالإنسان إذا جهل بقدرة الله تعالى وبرحمته فإنه إذا نزل به ما يكره من مصائب يراها شرا، واستبد به اليأس والقنوط، فقعد كئيبا حزينا يجتر آلامه ويمضغ أحزانه، ويكون يؤوسا من حياته ومستقبله، وإذا أنعم الله عليه انطلق في متاع الدنيا، واستغرق في لذاتها، أو نأي بجانبه عن عبادته وطاعته، واتبع شيطانه وهواه، فهو إما مسرف طاغ أو يؤوس قنوط، وهو في كلتا الحالتين أعمى البصيرة كفور، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾(٤)

فالكفر وضعف الإيمان معقل قوي لليأس، وأرض خصبة له، قال تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾﴾(٥)

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٣٠٣/٤).
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (١٥٩/١٨).
(٣) سورة الحجر آية ٥٦.
(٤) سورة الإسراء آية ٨٣.
(٥) سورة طه آية ١١١.

والناظر إلى حال البعيدين عن الله وعن طاعته، الملحدين وعديمي الملة، ومرتكبي المعاصي بكثرة، ومن لم يلتزم بمنهج الله تعالى فإنه سيلحظ ارتفاع حالات الانتحار بينهم، وما ذلك إلا لأنهم عاشوا فراغا روحيا قاتلا، مبتعدين كل البعد عن خالقهم، وعن الإيمان بقضاء الله وقدره، فلا غرابة أن يستحكم اليأس والقنوط قلوبهم الخاوية بيسر وسهولة، وقد جاء في القرآن الكريم أن الكفر باليوم الآخر وإنكار البعث والنشور، يؤدي إلى اليأس والخيبة والخذلان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[١]

أي: إن الذين يكذبون بآيات الله تعالى وينكرون لقائه، إما أنهم سييأسون من رحمة الله تعالى يوم القيامة، أو أنهم يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء "[٢]

والحاصل أن يأسهم حاصل ومتحقق لا محالة، لأنهم لم يرجوا لقاء الله يوما، ولا قال أحد منهم: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

ويزداد اليائس يأسا وخذلانا عند مواجهته لمصيره المحتوم يوم القيامة، ومعاينته للعذاب الشديد الذي لا مفر منه، **وقد أجاد الرازي رحمه الله في تفسير قوله تعالى** ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾[٣]

فقال: "وفي تصوير حال هؤلاء الكفار البائسين يقول -ﷺ- في ذلك اليوم يتبين إفلاسهم، ويتحقق إبلاسهم، والإبلاس يأس مع حيرة، يعنى: يوم تقوم الساعة يكون المجرم يأس محير، لا يأس هو إحدى الراحتين، وهذا لأن الطمع إذا انقطع باليأس، فإذا كان

(١) سورة العنكبوت أية ٢٣.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل (٣١٣/٤).

(٣) الروم: ١٢-١٣.

المرجو أمرا غير ضروري، يستريح الطامع من الانتظار، وإن كان ضروريا بالإبقاء له، فبدونه ينفطر فؤاده أشد انفطار، ومثل هذا اليأس هو الإبلاس "[١]

وأما الذنوب والمعاصي وما أكثرها عند بنى البشر، فإن من شأنها أن تثقل الإنسان بالهموم والآثام، وتقعده عن عمل الخير بعد أن تصيبه باليأس والإحباط، ولا شك أن هؤلاء المجرمين واجهوا ما لا طاقة لهم به من العذاب، حتى وصلوا إلى هذه الحالة الميئوس منها وإلى هذا الوضع المتردي الكئيب.

يقول المناوي:" واعلم أن النفس إذا كانت ذات شره وشهوة غالبة فارت بدخان شهواتها كدخان الحريق، فأظلمت الصدر فلم يبق له ضوء بمنزلة قمر ينكسف، فصار الصدر مظلما، وجاءت النفس بهواجسها وتخليطها واضطربت، وظن العبد أن الله لا يعطف عليه ولا يرحمه ولا يكفيه أمر رزقه، ونحو ذلك، وهذا من سوء الظن بالله، وصل إلى حال اليأس من الرحمة ووقع في القنوط "[٢]

وقد ذكر ابن القيم أن من نتائج المعصية: ضيق الصدر، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، وهذه تتولد عن المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار "[٣]

فنتائج المعصية بمجملها تقود إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، إلا إذا ثاب العبد إلى رشده، وتاب إلى خالقه، وآب إليه، فعندها يبدل الله سيئاته حسنات، ويرزقه الطمأنينة وراحة البال.

وهكذا فإن من كان قلبه عامرا بالإيمان، موصولا بذي الرحمة والغفران، فإنه أبعد ما يكون عن اليأس والخذلان، ومن كان قلبه خاليا من أي عمل يرضي به رب الأرض والسماوات، فليس أسهل من أن يكبل هذا القلب بقيود اليأس والحرمان.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٥/٨٩-٩٠) .

(٢) المناوي، محمد عبدالرؤوف (ت:١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبري _ مصر (ط١١٣٥٦هـ) (٢/٧٨).

(٣) ابن القيم، أبا عبدالله، محمد بن أبى بكر (أيوب)الزرعي، (ت:٧٥١هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية – بيروت،(ط١٣٩٣/٢هـ-١٩٧٣م) (ص:٣٢-٣٣).

المطلب الثاني: الابتلاءات والمحن:

ومن أهم الأسباب التي تجعل مشاعر اليأس تعتري الإنسان، هي المصائب والابتلاءات التي تنزل عليه، وفقد ما كان يتمتع به من النعم، وعدم حصول ما يسعى إليه ويأمله من الأمور الدنيوية.

ومن الطبيعي أن العطاء والمنع في الحياة، مسألتان تقبلان بقلب الإنسان وفكره وروحه على مولاه، أو تدبران بكل ذلك عن صراطه.

والإقبال والإدبار مسألة نسبية، تحددها مساحة الإيمان واليقين والتوكل، وكل ذلك يختلف من مؤمن إلى آخر، ومن إنسان إلى آخر، وبين الإيمان والكفر تتردد الروح رضا ورفضا، وقبولا ويأسا.

وصور الابتلاء والمحن التي قد تؤدي إلى اليأس مذكورة بشكل تفصيلي في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1]

"وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه، ومن قنط أحل به عقابه "[2] فالأمن والشبع والمال والأولاد والثمار حيث طبع الإنسان على تملكها.

وكأن الله عزو جل أراد من هذه الآية أن يحذر من مسألة الانجرار خلف المواد المذكورة، واللهاث وراء بريقها، والذوبان في فتنتها، وكأنها هي المصائد التي تظهر قدرة الإنسان على تجاوزها، أو السقوط فيها.

يقول عبد الكريم الخطيب:" فالجزع في هذه المواطن هو الذي يثقل المصيبة، ويولد منها مصائب، فيضاعف معها البلاء، ويعظم الأمل، ويطبق اليأس، ويغلق كل باب للأمل والرجاء، أما الذي يلقى أحداث الحياة ومصائبها بالصبر، ويواجهها بالتسليم والرضا، عن يقين وإيمان بأن ما وقع إنما هو بقضاء الله وقدره، فإن ذلك يهون عليه من وقع المصائب

(١)البقرة آية ١٥٥ .

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)،تفسير القرآن العظيم، دار الفكر – بيروت،(ط ١٤٠١هـ)(١٩٨/١).

وإن عظمت، ويمده بمعين عظيم من الصبر والاحتمال، ويفتح له بابا واسعا من الأمل والرجاء فيما هو خير عند الله وأبقي "[١].

فالفتنة والصمود أمامها، يحتاجان إلى صبر شديد، ومقاومة هائلة، وعدم انصياع لرغبات النفس وتطلعاتها، لذلك كان لمن يجتاز هذه المراحل والعقبات بشارة عظيمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ الذين تحصنوا بقول الله سبحانه ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[٢].

وإذا كانت شيمة الصبر هي الصفة الأبرز لمن تعاملوا مع الشدائد والابتلاءات، في وقت الضيق والشدة بالقبول والرضا، ورد الأمر لله، فإن غيرهم سقطوا في أول الطريق، ولم يصبروا، وفعل اليأس فعلته في قلوبهم، وذهبت عقولهم أسفا وطمعا وحسرة، فقادهم هذا الشعور إلى مشاعر غريبة، ربما يكون من محتواها: الرعب من المجهول، وعدم الركون إلى رب الأرباب، فتقطعت بهم الأسباب.

قال تعالى ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾﴾[٣].

" يقول تعالى ذكره: ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش فبسطنا عليه من الدنيا، وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع.....ثم سلبناه ذلك، فأصابته مصائب أجاحته، فذهبت به.....يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير "[٤].

و" إن لفظ الإذاقة والذوق يفيد أقل مما يوجد به الطعم، فكان المراد أن الإنسان بوجدان أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطغيان، وبإدراك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران، فالدنيا في نفسها قليلة، والحاصل منها للإنسان الواحد قليل، والإذاقة من ذلك المقدار خير قليل، ثم إنه في سرعة الزوال

(١) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي –القاهرة (١٧٦/١).

(٢) سورة البقرة من ١٥٦.

(٣) سورة هود آية ٩.

(٤) الطبري، أبا جعفر، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر –بيروت، (ط ١٤٠٥هـ) (٧/١٢) بتصرف. الرازي، مفاتيح الغيب(١٥٣/١٧) بتصرف.

يشبه أحلام النائمين وخيالات الموسوسين،.....ومع ذلك فإن الإنسان لا طاقة له بتحملها ولا صبر له على الإتيان بالطريق الحسن معها "[١].

وفي موضع آخر، يقول تعالى ذكره: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾[٢]، فهذا الإنسان " إن أحس بخير وقدرة انتفخ وتعظم، وإن أحس ببلاء ومحنة ذبل، كما قيل في المثل: إن هذا كالقرلي، إن رأي خيرا تدلى، وإن رأي شرا تولى"[٣]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ لا ينافي قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾[٥] لأن الأول في قوم، والثاني في قوم، أو قنوط في البر، ذو دعاء عريض في البحر، أو قنوط بالقلب، ذو دعاء عريض باللسان، أو قنوط من الصنم، ذو دعاء لله تعالى"[٤]

نعم، إنه مما لا شك فيه أن الابتلاءات والمصائب لها تأثيرها القوي على النفس الإنسانية، فالخوف نقيضه الأمن، والجوع نقيضه الشبع، والغنى نقيضه نقص الأموال، ونقص الأنفس ضعف وحسرة وحزن، والخصب نقيض نقص الثمرات، والخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، من منغصات الحياة، ومقدمات الجزع والخوف.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥٣/١٧) بتصرف.

(٢) سورة فصلت آية ٤٩.

(٣) هذا المثل يضرب في الذي يهلع من الشر، ويطمع في الخير، والقرلى: طائر جارح، يتعلق غالبا فيزج نفسه فيختلس السمك بمنقار له طويل، وهو غير محب للإنسان، ولا يزال مرفوعا في البخار يري شيئا من معاشه، فيتدلى لأخذه، ولم ير قط طائرا، ولا واقفا، بل محدم، وجناحاه في خلفهما لا يعرفان السكون أبدا، بل يخفقان دائما، انظر: الوطواط، أبا اسحاق، برهان الدين، محمد بن إبراهيم، (ت:٧١٨هـ)، مباهج الفكر ومناهج العبر، (ص: ٨٦).-"(٥)- سورة فصلت آية ٥١.

(٤) النسفي، مدارك التنزيل (٩٤/٤-٩٥).

لكن الوضع الطبيعي أن يلجأ الإنسان في مثل هذه الأحوال إلى من بيده الأمر كله، من أجل أن يخرج من هذا المأزق، أما إذا كانت العلاقة بين العبد وربه، تسير في غير هذا الاتجاه الصحيح، وكان العصيان دأب العبد، وكانت العقوبة غضب الرب، فإن هذا الأمر لا يلبث أن ينقلب إلى مجموعة من النكسات، والارتباكات في نفس العبد، لا يستطيع معها أن يحسن الظن بمولاه، أو يلجأ إليه عند الشدة، فيكون اليأس من رحمته هو المحصلة التي تتغلغل في قلوب العصاة وأرواحهم.

وقبول مسألة الابتلاء والمحنة والفتنة والتعامل معها، أو رفضها وعدم استيعابها، تصنع في النفس مجموعة من العوامل، والمحددات التي ترسم شخصية الإنسان وقناعاته، حتى إن المؤمنين أنفسهم درجات في ذلك، وكلما ازداد منسوب الإيمان في النفس، واشتد تغلغله في جنباتها، كان استيعاب النفس للابتلاء أشد، وتفاعلها معه ينطلق من فهمها على أنها مرحلة التنقية، والتمحيص، ورفع الدرجات.

فها هم أصحاب محمد ﷺ، يعاتبهم رب العزة ﷻ على ما بدر منهم من الهلع والجزع، حيث أشيع بينهم أن محمدا ﷺ قد قتل، وكان ذلك في معركة أحد، عندما شج رأس رسول الله ﷺ ، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1]، أي: إذا مات محمد ﷺ لانقضاء أجله أو قتله عدوكم ارتددتم عن دينكم، الذي بعث الله محمدا بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الإيمان به"[2]

وتجاوز الصحابة ﷺ هذه العقبة، وتغلبوا على ما كان ينتابهم من الشعور بالهلع والضيق، وذلك لأنهم يحملون في قلوبهم إيمانا راقيا، ويقينا جازما.

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، (٤/١١٠).

فكم هو رائع أن يرتقي الإنسان بإيمانه حتى يحسب الابتلاء والمحن، منة وهبة من الله يؤتيها من يشاء من عباده، وهذا يعنى أن تعامل المؤمن مع فلسفة الابتلاء تسير ضمن عقيدة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[1]، ويسير ضمن التوجيه النبوي: " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذي ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه "[2].

(١) سورة التوبة آية ٥١.

(٢) البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، الموسوم ب (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير –بيروت (ط٣/١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م) كتاب المرضي، باب: ما جاء في كفارة المرض، ح رقم (٥٣١٨)،(٥/٢١٣٧).

المبحث الثاني: صور اليأس في القرآن الكريم

المطلب الأول: اليأس من رحمة اللّه.

المطلب الثاني: اليأس من إنزال الغيث.

المطلب الثالث: يأس الكفار من دين اللّه.

المطلب الأول: اليأس من رحمة اللّه:

إن رحمة الله واسعة جدا، لا تحدها حدود، ولا تتخيلها عقول، يطمع فيها المؤمن والكفور، تتنزل على خلقه فإذا بها تضئ النفوس، وتجلو الهموم، وتؤمل القلب المحزون، ففي الحديث:" إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار"[(١)]، لذا كان اليأس منها أمرا خطيرا، وخلقا ذميما، ومعصية كبيرة، فهو يعد من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، ففي الأثر عن ابن مسعود أنه قال:" أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[(٢)]، حتي إنه قد ينقل صاحبه عن الملة، كما قال الطحاوي[(٣)].

فاليأس من رحمة الله تعالى يعد سوء ظن بالله ﷻ، وطعنا في رحمته سبحانه، لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالا "[(٤)].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ح (٦١٠٤) (٢٣٧٤/٥).

(٢) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت:٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدى بن عبدالمجيد السلفي مكتبة الزهراء –الموصل، (ط٢/١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، رقم (٨٧٨٤) (١٥٦/٩).

(٣) الطحاوي، أبا جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:٣٢١هـ)، العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم –بيروت، (ط١ /١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) (ص:٢١).

(٤) العثيمين، محمد بن صالح (ت:١٤٢١هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجديدة (ط١٤٢٣هـ)(٦/٢).

وقد نهانا الله ﷻ في كتابه العزيز عن اليأس من رحمته ومغفرته، قال جل في علاه حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[١]، والروح، ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه، وتركيب الراء، والواو، والحاء يفيد الحركة والاهتزاز، فكل ما يهتز إنسان له ويلتذ بوجوده فهو روح، قاله الأصمعي[٢].

وروح الله الواردة في الآية الكريمة تعني: رحمته، واليأس من رحمة الله نوعان: يأس الكفار منها، وتركهم كل سبب يقربهم منها، ويأس العصاة بسبب كثرة جناياتهم التي أوحشتهم وملكت قلوبهم، فأحدثت لها الإياس[٣].

ولقد اطلع الله ﷻ على سرائر بعض المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم في لحظة بشرية طاغية، وقادهم عظم شعورهم بالذنب إلى الخوف المقعد الذي قد يصل إلى القنوط في لحظة الرهبة القاتلة، فكان هذا النداء المليء بالأمل والرجاء: قال تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[٤].

فدعاهم الحق ﷻ إلى عدم اليأس والقنوط، ما داموا مؤمنين، وما دامت رحمة الله واسعة، حتى لو بالغوا في الذنوب والمعاصي، لأن القلب المؤمن لا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، فإن رحمت الله قريب من المحسنين المؤمنين، أما الكفار – والعياذ بالله –فقد يئسوا من رحمة الله في الدنيا، ويئسوا من مغفرته وجنته في الآخرة، قال تعالى:

---

(١) سورة يوسف آية ٨٧ .

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، (٢٧٦/٤).

(٣) السعدى، عبدالرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة –بيروت (ط ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) (ص:٦٢٩).

(٤) سورة الزمر من الآية (٥٣).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[١].

ومعنى الرحمة هنا: الجنة [٢]، وذكر أبو حيان في تفسيره أن هناك قولا آخر في معنى الرحمة في هذه الآية، وهو: الدين، فيكون المعنى: أن الكفار يئسوا من ديني، فلا أهديهم"[٣].

وبعد، فإن هذا هو النوع الأول من أنواع اليأس، والذي يدور حوله مدار هذا البحث، وإذا أطلق لفظ اليأس في ثنايا هذه المادة فالمقصود به هو هذا النوع، وهو ما يطلق عليه: اليأس المذموم، وهناك بالمقابل يأس محمود، لم يذكر في القرآن الكريم بصورة مباشرة، لكنه موجود في ثنايا كتب الأخلاق والزهد، هو اليأس مما في أيدي الناس، وقطع الرجاء بهم.

ويري المناوي: أن الغني الحقيقي يكمن في هذا النوع من اليأس، يقول:"الغنى هو الإياس: أي القنوط مما في أيدي الناس، أي ليس الغنى الحقيقي هو كثرة العرض والمال، بل هو غنى النفس وقنعها بما قسم لها، وقطع الآمال من الأموال التي بأيدي الناس، والإعراض عنها بالقلب، فيستغني بما حصل له لعلمه بأنه لم يتغير.....، والمعنى: أنه إذا يئس مما في أيدي الناس استغني قلبه بالحق، وسكنت نفسه إلى ضمانه، وصار حرا عن التذلل لغيره، ويحصل ذلك بصفاء توحيد قلبه، بأن الخلق لا يستقلون بنفع ولا ضر إلا بإذنه تعالى"[٤].

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٣.

(٢) البغوي، أبا محمد، الحسين بن مسعود الفراء، (ت:٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة –بيروت، (٤٦٤/٣).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط (١٤٣/٧).

(٤) المناوي، محمد عبدالرؤوف (ت:١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبري –مصر، (ط١/ ١٣٥٦هـ)(٤/ ٤١٤)، بتصرف.

لذا فالواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكماله.....، إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه "[١].

المطلب الثاني: اليأس من إنزال الغيث:

الغيث صورة من صور الرحمة الإلهية، ومعنى من معانيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[٢]

وقال عز من قائل: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾[٣][٤]، فرحمة الله في هذه الآية هي: الغيث، وأثرها: النبات"[٥]،" فالغيث سبب رزق عظيم وهو ما ينزله الله بقدر هو أعلم به، وفيه تذكير بهذه النعمة العظيمة على الناس، التي منها معظم رزقهم الحقيقي لهم ولأنعامهم، وخصها بالذكر دون غيرها من النعم الدنيوية، لأنها نعمة لا يختلف الناس فيها، فهي أصل دوام الحياة بإيجاد الغذاء الصالح للناس والدواب "[٦]

ومن أجل ذلك كله ينتظره الناس، وتتعلق به قلوبهم، ولا يكاد يتأخر عن موسمه قليلا حتى يقتحم القنوط قلوب العباد، لما يتعلق به من زخرفة الحياة وزينتها ومتاعها وضروريات البقاء فيها.

ولو علم الناس أن الله أرحم بعباده من أنفسهم ما قنطوا، ولو علم الناس أن لكل أجل كتابا ما قنطوا، ولو علم الناس أنه لن تموت نفس حتي تستكمل وتستوفي رزقها ما

(١) ابن حبان البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت:٣٥٤هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية –بيروت –(ط١٣٩٧/١٩٧٧) (ص: ١٤١)، بتصرف. .

(٢) سورة الفرقان آية ٤٨ .

(٣) سورة الروم، آية ٥٠.

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت:١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر –بيروت، (ط١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) (٦٢/٦).

(٥) الزمخشري، أبا القاسم محمود بن عمر،(ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت،(٤٩٢/٣).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩٥/٢٥)، بتصرف.

قنطوا، ولذلك صور الله سبحانه هذه المسألة أدق تصوير، صور نفسية الناس، وصور معنى نزول الرحمة وانتشارها، قال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[١]

وما أروعها من مقابلة، شملت نشر الرحمة في لحظة القنوط، ليصبح الحمد لولى النعمة الذي بيده مفاتيح الرزق، وله الأمر كله.

والرحمة في هذه الآية تعني: "المطر"[٢]، أو بركات المطر ومنافعه، وما يحصل به من الخصب، ويجوز أن يراد بها: رحمة الله الواسعة في كل شيء، كأنه قيل: ينزل الرحمة التي هى الغيث، وينشر سائر أنواع الرحمة[٣]، وسمى المطر بالغيث، لأنه يغيث الناس، أي يجيرهم ويصلح حالهم.[٤]

وقد صور الله ﷻ حال الناس عند انحباس المطر، وعند نزوله في موضع آخر قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾[٥]، "وقد ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته، وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر، استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار، ضجوا وكفروا بنعمة الله، فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله

(١) سورة الشورى آية ٢٨. .

(٢) الطبري، جامع البيان، (٣١/٢٥). البغوي، معالم التنزيل، (١٢٨/٤).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٤٧/٢٧).

(٤) الثعالبي، أبا زيد، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت (٣١٨/٨).

(٥) سورة الروم: ٤٨-٤٩.

فقنطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار، وأن يصبروا على بلائه فكفروا "[١]

لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يحسن الظن بالله ﷻ، وأن يعلم أن الرزق بيده سبحانه يبسطه لمن يشاء، ويقدره عمن يشاء، وذلك كله عن حكمة وعدل، ولا ييأس ولا يقنط ويتوقع فرج الله ورحمته في كل لحظة، يقول القشيري:" فبعدما أصاب الأرض جدوبة، وأبطأ نزول الغيث، وقنط الناس من مجيء المطر، وأشرف الوقت على حد الفوات، ينزل الله بفضله الغيث، ويحيي الأرض بعد قنوط أهلها. فكذلك العبد، إذا ذبل غصن وقته، وتكدر صفو وده، وكسفت شمس أنسه، وبعد عن الحضرة وساحات القرب عهده فلربما ينظر إليه الحق برحمته، فينزل علي سره أمطار الرحمة، ويعود عوده طريا، وينبت في مشاهدة أنسه وردا جنيا "[٢]

المطلب الثالث: يأس الكفار من دين الله:

في المطلبين السابقين كان الحديث عن اليأس من إنزال الغيث، وعن يأس الكفار من رحمة الله، وقنوطهم مما عند الله، أما في هذا المطلب فسيكون الحديث عن يأس آخر، له مدلوله السلبي في تركيبة الكفار النفسية، بل هو مؤشر واضح على الهزيمة من الداخل، وهو في الوقت نفسه بشارة للمسلمين بوهن الكفار، وانقطاعهم عن رافد عظيم من روافد الثبات والقوة في صراعهم معهم، وهذا فيه إشارة واضحة على توجه المسلمين إلى خشية الله فحسب، حيث منه الحول والقوة والطول، وضرورة وإلزامية عدم خشية الكافرين.

(١) الزمخشري، الكشاف (٣/ ٤٩٢).

(٢) القشيري، أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك، (ت: ٥١٤هـ) تفسير القشيري، الموسوم " لطائف الإشارات " تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن دار الكتب العلمية–بيروت(ط١ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) (٣/١٦٦-١٦٧).

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١)

وقد جاء في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ: " أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(٢)، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة "(٣)

أما في معني الآية يقول الطبري:" الآن انقطع طمع الأحزاب، وأهل الكفر والجحود، أيها المؤمنون من دينكم.....أن تتركوه فترتدوا عنه راجعين إلى الشرك "(٤)(٥)

وهذا ما يحصل الآن، ويمكن لمسه في حاضرنا اليوم، وعلى مستوي العالم أجمع، ومما يدل على ذلك كثرة الداخلين في الإسلام يوميا، على الرغم من كل محاولات الكفار والمغرضين من صدهم وإشاعة الفتن بينهم.

لذلك ورد النهي عن خشيتهم، فإن يأس العدو من نيل عدوه يزيل بأسه، ويذهب حماسته، ويقعده عن طلب عدوه، فلما أخبر عن يأسهم طمأن المسلمين من يأس عدوهم، فقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾(٦)

---

(١) سورة المائدة: آية ٣ .

(٢) سورة المائدة آية:٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (٤٥) (٢٥/١).

(٤) الطبري، جامع البيان، (٧٨/٦).

(٥) القشيري أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك (ت ٥١٤ هـ) تفسير القشيري الموسوم ب لطائف الإشارات تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن دار الكتب العلمية بيروت (ط ١٤٢٠ هـ.٢٠٠٠ م) ١٦٦/٣، ١٦٧.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠١/٦).

المبحث الثالث: جزاء اليائسين والآثار المترتبة على اليأس والقنوط

المطلب الأول: استحقاقهم غضب الله.

المطلب الثاني: استحقاقهم العذاب الأليم.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

لا يمل الإنسان من دعاء الخير لنفسه، من المال، والصحة، والولد، وسائر أمور الدنيا، فإذا مسه بلاء وشدة، وفقر، ومرض، فإنه يقنط من رحمة الله ويأس، لذا كان جزاء اليائسين من جنس عملهم.

المطلب الأول: استحقاقهم غضب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾[1]

لا شك أن الذين غضب الله عليهم بنص هذه الآية هم من اليهود، ولكن الحكم بالغضب يجري على كل من حمل صفاتهم، وسار على دربهم، وحذا حذوهم، هذا ما يراه البقاعي حيث يقول: "غضب الله: أي أوقع الملك الأعلى الغضب عليهم، لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا، فهو عام في كل من اتصف بذلك، يتناول اليهود تناولا أوليا، ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب، قال معللا ومبينا أنه: لا خير فيهم يرجي، وإن ظهر خلاف ذلك،.....فهم قد باؤوا بغضب من الله، بعد أن يئسوا من الآخرة، ومن أن ينالهم فيها خير، وتجاوزوا الحد في المعاصي والآثام "[2]

ويظهر من كلام البقاعي: أن غضب الله -ﷻ- الواقع على اليهود، ومن حذا حذوهم، كان بسبب يأسهم من رحمة الله تعالى وتماديهم في المعاصي والآثام، ويمكن القول إلى جانب ما ذكره البقاعي: إن أبرز ما يتصف به اليهود وأشياعهم: صفتان ملازمتان لهما، الأولى: أن الله ﷻ غضب عليهم، فهم الموصوفون بصريح القرآن الكريم ب ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾،

(١) سورة الممتحنة، ١٣.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (٥٦٨/٧) بتصرف.

والثانية: أنهم يائسون من رحمة الله تعالى، وهذا ما يفيده إعراب الآية الكريمة، حيث أن جملة ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الفعلية جاءت في محل نصب صفة أولى ل ﴿قَوۡمًا﴾، وجملة: ﴿يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الفعلية جاءت في محل نصب صفة ثانية،

وترى الباحثة: أنه لا يوجد تعارض بين القولين: بأن غضب الله تعالى كان سبب اليأس من رحمته سبحانه، وبين القول: بأن الغضب من الله تعالى على هؤلاء اليهود، واليأس الحاصل منهم، يشكلان صفتان يحملهما ذلك الصنف من الناس.

لذا فإن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى يوجب الغضب، وإذا علم الله ﷻ أن في قلب عبد من عباده يأسا وكفرا عند الامتحان بالبلاء، وفرحا وفخرا عند الابتلاء بالنعماء، وغفلة عن الحمد والثناء على رب الأرض والسماء، صاحب السراء والضراء، فإن ذلك من أعظم أسباب خذلانه، وتخليه عنه، فإن محله لا تناسبه النعم المطلقة التامة، كما قال تعالى:﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾[1]

فأخبر سبحانه أن محلهم غير قابل لنعمته، ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم، وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها[2].

(١) سورة الأنفال، الآيتان (٢٢،٢٣).

(٢) ابن القيم، الفوائد، (ص:٢٠٦).

المطلب الثاني: استحقاقهم العذاب الأليم:

بعدما حكم الله ﷻ على اليائسين من رحمته بالكفر والضلال، وبعد أن باؤوا بغضب من الله، استحقوا العذاب الأليم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]، " **أي:** أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى، ولقائه، وباليأس من رحمته، الممتازون بذلك عن سائر الكفرة، لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام "[2]

فمن اتصف بالكفر بآيات الله ولقائه، وباليأس من رحمته سبحانه، كان له من العذاب أشده وأوجعه، هذا ما يظهر من كلام أبي السعود.

ولكن الواضح من الآية الكريمة: أن المهلكة الأولى التي وقع فيها هذا الصنف من الناس هي: الكفر، وهذا يعني: التكذيب بآيات الله ولقائه، لذا كان المترتب على هذا الكفر: اليأس من رحمة الله التي من مظنة حصولها ذلك اللقاء.

إذن أصبح اليأس من رحمة الله تعالى متسببا عن الكفر بآياته ولقائه، والجزاء المناسب لمن كذب بآيات الله ولقائه، ويئس من رحمته عذاب أليم.

وترى الباحثة: أن هذا المعني هو المستفاد من الآية الكريمة، ومن ترتيب، وتدرج المراحل التي يمر بها هذا الصنف من الناس، حيث كان الكفر بآيات الله أولا، ثم الكفر بلقائه، ثم عوقبوا باليأس والقنوط، فحرموا نعمة الرجاء برحمة الله، وتعنتوا في مواقفهم وقناعاتهم، فلاقوا الله يوم القيامة كفارا مشركين، فاستحقوا بذلك العذاب الأليم." ثم إن في الآية الكريمة فوائد: إحداها: قوله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ﴾، حتي يكون منبئا عن حصر الناس فيهم، وقال أيضا: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾، لذلك، ولو قال: أولئك الذين كفروا بآيات الله ولقائه يئسوا من رحمتي ولهم عذاب أليم، ما كان يحصل

(١) سورة العنكبوت آية ٢٣.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٣٦/٧).

هذه الفائدة، فإن قال قائل: لو اكتفي بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مرة واحدة كان يكفي في إفادة ما ذكر، ثم قلنا: لا، وذلك لأنه لو قال: أولئك يئسوا ولهم عذاب، كان يذهب وهم أحد إلى أن هذا المجموع منحصر فيهم، فلا يوجد المجموع إلا فيهم، ولكن واحدا منهما وحده يمكن أن يوجد في غيرهم، فإذا قال: أولئك يئسوا وأولئك لهم عذاب، أفاد أن كل واحد لا يوجد إلا فيهم "[١]

فالمنكرين للبعث، والجاحدين بيوم القيامة، تمكن منهم اليأس واستقر في أعماقهم، فهم لكفرهم بالله ﷻ لا يرجون خيرا في الدنيا والآخرة، ومن يتأمل الواقع في المجتمعات الكافرة يجد أن حالات، الانتحار كثيرة والإحصائيات تشهد بهذا.

ثم يوم القيامة حين يبعث الله الموتى من قبورهم، ويحشرهم إلى موقف الحساب، ييأس الذين أشركوا بالله واليوم الآخر، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال، من الكفر، والمعاصي، والجحود، والاستكبار، فلم يقدموا عملا صالحا يشفع لهم وينالون به رحمة الله[٢] قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾[٣].

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط:

يترتب على اليأس والقنوط آثارا عديدة، من أبرزها:

١- سوء الظن بالله:

فالمذنب اليائس القانط من مغفرة الله وعفوه يظن أن ذنوبه أعظم من أن يغفرها الله له، وإن كان في نعمة ثم نزعت منه يظن أن الله غير قادر على إعادتها إليه، وأنه لن ينعم عليه، ولن يلطف به، ومن يسعى في حاجة له ثم لا تتحقق ولا يحصل على مراده، ييأس، ويظن أن الله لا يريد له الخير.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (٤٥/٢٥) بتصرف.

(٢) جامع البيان (٤٦٨/١٨) ط دار هجر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة –بيروت (ط١/١٤٢٠هـ)ص (٦٣٨).

(٣) سورة الروم آية ١٢ .

٢- **الاستمرار في المعاصي وترك الطاعات:**

فاليائس القانط حين يري أنه هالك لا محالة لا يبالي بالمعاصي التي يرتكبها، ولا يهتم لفعل الطاعات، وكسب الحسنات، والشيطان حريص على استغلال ضعف الإنسان حال اليأس والقنوط، ليضله عن سبيل الله، إذ أن من أهداف الشيطان: إيقاع العباد في المعاصي، وصدهم عن طاعة الله. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[1]

٣- **الهم والغم والحزن:**

فالقانط من رحمة الله ومغفرته يحزن لما صدر منه من معاصي وذنوب، ويغتم ويهتم لمعرفته بمصيره وهو العذاب، واليائس يحزن كلما تذكر مكروها ماضيا حدث له، ويغتم على المكروه الحاصل في الحال من عدم تحقق ما يرجوه أو من مصيبة واقعة عليه، ويهتم لأمره في المستقبل فلا يتأمل خيرا ولا يتفاءل بحال أفضل.

٤- **الإحساس بالعجز والكسل وضعف الهمة:**

فلا يسعى اليائس ولا يعمل الأسباب، ليحصل على ما يرجوه ويتأمله، بل يبقي خاضعا مستسلما لحاله، ضعيف الإرادة، عديم الهمة، فلا المذنب يبادر للتوبة، وفعل الطاعات، ولا الشاكي من حاله يسعي لفعل ما يغير حاله للأفضل.

لهذه الآثار السيئة كان العلاج حتما لازما، ولم يترك القرآن الكريم هذه المشاعر، بل في آياته العظيمة ما يبعث الأمل، ويحيي العزيمة، ويقتل اليأس والقنوط، تتجلى في المبحث الرابع.

(١) سورة الأعراف، الآيتين ١٦-١٧.

المبحث الرابع: سبل الوقاية والعلاج من اليأس

المطلب الأول: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح.
المطلب الثاني: المحافظة على الصلوات في أوقاتها.
المطلب الثالث: المداومة على قراءة القرآن الكريم.
المطلب الرابع: التمسك بالرجاء والأمل المحمود.
المطلب الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر.
المطلب السادس: حسن الظن بالله.
المطلب السابع: الإكثار من الذكر والدعاء.
المطلب الثامن: الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط.
المطلب التاسع: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى.

تمهيد:

اليأس نتيجة صعبة، وثمرة نكدة من ثمار الكفر المحض، والمعاصي بكافة أشكالها وصورها، وكذلك هو خلف مر لعدم القدرة على التعامل مع البلاء والابتلاء. فالكافر بربه، المتمرد على النصوص، المخالف لشرع الله، المستكبر على الصراط المستقيم يمتلك أقوي مقومات اليأس والقنوط والإحباط، وكذلك العاصي الذي لا يتضح عنده معني الوقوف بين يدي ربه، والذي يغفل عن لحظة الحساب والثواب والعقاب يفقد كذلك أقوي ركائز الرجاء، والأمل برحمة الله وتجاوزه.

والذي يضعف عند الابتلاء، ولا يحسن التعامل مع هذه السنة الربانية في التمحيص وتثبيت الإيمان، ولا يستقبل إرادة الله ﷻ بالصورة الراضية المرضية، يتمرد في داخله الشر والكبر، فتصاب عزيمته بالإعياء والنحول والوهن، فيقذف اليأس في قلبه، ويفقد التوازن أمام النائبات.

لذلك لابد من وقاية وعلاج حتى يجتاز الناس هذه المرحلة، لابد من وقاية مسبقة تعتبر أهم ركائزها مقومات إيمانية، وصلة بالله، وقضاء بقدره، وعبادة صادقة مبنية على العبودية الحقة التي تفتح قلب المسلم وذهنه، وتهيئ روحه لقبول

كل ما يختاره الله له، ويقدره عليه، ولو أردت أن أفصل بعضا مما أقول، لوضعت هذه المباحث التسعة على النحو التالي:

المطلب الأول: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح:

الإيمان بالله تعالى كان وما زال وسيبقى الجدار الصلب، والحصن المتين في مواجهة الظروف القاسية، من هم وكرب وضيق، وسيبقي الرافد العذب الذي يمد النفس الإنسانية بسيول من الأمن والطمأنينة والسعادة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[١]

لذلك، فقد شكل الصحابة رضوان الله عليهم، جيلا متماسكا قويا متفائلا، لا تؤثر فيه الخطوب، ولا تؤيسه الهموم والأحزان، بالرغم من كثرتها وشدتها، فولد إيمانهم القوي بالله، واعتصامهم به جل في علاه، الشعور لديهم بالأمن والأمان والطمأنينة والرجاء، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

وما أبعد حال المسلمين اليوم عما كان عليه الصحب الكرام والتابعين وتابعيهم، فإن أقل الابتلاءات والمحن، تهز قلوبهم، وتهبط بنفوسهم –إلا من رحم ربي– فبسبب بعدهم عن مولاهم، وخالقهم، كان اليأس قريبهم وحليفهم.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٢]دليل على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه "[٣]، " فالمؤمن الحق لا تقنطه المصائب، ولا الشدائد، من رحمة الله، وتفريجه لكربه "[٤]

(١) سورة النحل آية ٩٧.

(٢) سورة يوسف آية ٨٧.

(٣) انظر: السعدى، تيسير الكريم الرحمن، ص (٤٠٤).

(٤) المراغي، تفسير المراغي (١٣/٣٠).

وصدق رسول الله ﷺ حينما قال " عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له "(١)

يقول الغزالي: "فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمنا، ولا أن يكون آيسا "(٢)، وآمنا: يعني يأمن مكر الله.

ويعظم الأمل، والرجاء في نفس المؤمن إذا كان إيمانه مقترنا بالصبر، والعمل الصالح، والصبر، "والعمل الصالح كذلك لا ينفعان إلا مع هداية وإيمان "(٣)، فبعد أن بين الله ﷻ حال الإنسان الكافر، عند مروره بظروف مختلفة من نعماء وضراء، وما يصدر منه من يأس وفرح وفخر، استثنى الله ﷻ من هذا الصنف، الذين صبروا، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾(٤)

" فقد استثنى الله جل ثناؤه، من وصف بهاتين الصفتين: الصبر، والعمل الصالح، فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم يصبرون لأمره وقضائه، وإن نالوا فيها رخاء وسعة، شكروه وأدوا حقوقه بما آتاهم منها" (٥).

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩)،(٤/٢٢٩٥).
(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن أحمد، (ت:٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة –بيروت (٤/٢٠) د.ط.
(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣/١٥٤).
(٤) سورة هود، الآيات (٩-١١).
(٥) الطبري، جامع البيان، (١٢/٨). .

يقول الألوسي:" لما تضمن اليأس عدم الصبر، والكفران عدم الشكر، كان المستثنى من ذلك ضده ممن اتصف بالصبر، والشكر فلما قيل: (إلا الذين.....) كان بمنزلة: إلا الذين صبروا وشكروا، وذلك من صفات المؤمن، فكنى بهما عنه "(١)

وما ذلك إلا لأن " الإيمان الجاد المتمثل بالعمل الصالح، هو الذي يعصم النفس البشرية من اليأس الكافر في الشدة، كما يعصمها من البطر الفاجر في الرخاء، وهو الذي يقيم القلب البشري على سواء في البأساء والنعماء، ويربطه بالله في حاليه، فلا يتهافت تحت مطارق البأساء ولا يتعالى عندما تغمره النعماء، وكلا حالي المؤمن خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، كما يقول رسول الله ﷺ"

"فالمؤمن إذا ابتلى بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه بإيمانه، وبما عنده من القناعة، والرضا بما قسم الله له، يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمرا لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة.....، وإذا حدثت أسباب الخوف، وألمت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكنا من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه، بما في وسعه من فكر وقول وعمل، قد وطن نفسه لهذا المزعج المؤلم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده"(٢)

وبعد فإن الإيمان الصادق المتمثل بالصبر، والعمل الصالح كفيل بأن يصلح بال المسلمين، ويفرج كروبهم وأحزانهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾(٣)

(١) الألوسي، روح المعاني، (١٦/١٢).

(٢) السعدى، عبدالرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، مؤسسة النور، الرياض ط (١٣٧٨هـ) ص (٧) بتصرف.

(٣) سورة محمد آية (٢).

"فقوله تعالى ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، إشارة إلى ما يثيب على الإيمان، وقوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾، إشارة إلى ما يثيب على العمل الصالح "[١]

وإصلاح البال نعمة كبرى وفيها من الطمأنينة والراحة والسلام، ومتي صلح البال، اطمأن القلب، ورضيت النفس، وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟

وللصبر دوره المتميز في إضفاء جو من الرضا، والسعادة، والطمأنينة، على قلب الإنسان وروحه، **يقول الدكتور جمال ماضي:** "ونرى الإسلام يحض على الصبر، حتى يشعر المسلم الذي يجتاز العقبات بالطمأنينة، وتحقيق الذات، والتغلب على الإحساس بالاكتئاب، إذا تمسك بهذه الأخلاقيات، تقوي الإرادة، ويزداد الشعور بالأمل والتفاؤل"[٢]

المطلب الثاني: المحافظة على الصلوات في أوقاتها:

كان الحديث في المطلب السابق عن الإيمان المتمثل بالصبر والعمل الصالح، وسيلة من وسائل علاج اليأس، والصلاة جزء من الإيمان، ولكن القرآن الكريم خصها بالذكر، لما لها من الأثر العلاجي المثمر والفعال، ففيها صلاح المجتمع، وبها يستنير البشر، وتسعد الإنسانية.

قال تعالى: ﴿*إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾[٣]

وقد بدأ الله تعالى أولئك المستثنين وختمهم بالصلاة، ففي الآية الثانية والعشرين ورد قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ ، وفي الآية الرابعة والثلاثين ورد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٤/٢٨).

(٢) ماضي، جمال أبو العزائم، القرآن والصحة النفسية،(تأملات في الآيات القرآنية المتعلقة بالصحة النفسية) ط(١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص(٩٣).

(٣) سورة المعارج الآيات (١٩-٣٤).

هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾، مما يفيد أن الصلاة أصل لكل خير، ومبدأ لهذا المذكور كله، لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[١]

فالصلاة عون على كل خير[٢]، فـ"الاستعانة بالصلاة....أقرب حصول المأمول، وإرجاع النفس إلى الله تعالى، لما لها من التأثير في الروح [٣]وكفي بالصلاة بركة في دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لأسباب النار [٤]

لذلك فقد أمر الله ﷻ، نبيه الكريم بالصلاة والابتهال، لكي يحصل الفرج، وتتم النعمة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾﴾[٥].

وهذا التوجيه الرباني يظهر واضحا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[٦]

"وفي أمره ﷺ بما ذكر، إرشاد له إلى ما يكشف به الغم الذي يجده، كأنه قيل: افعل ذلك، يكشف عنك ربك الغم، والضيق الذي تجده في صدرك، ولمزيد الاعتناء بأمر الصلاة، جيء بالأمر بها كما ترى مغايرا للأمر السابق على هذا الوجه المخصوص، وفى ذلك من الترغيب فيها ما لا يخفى.[٧]

(١) سورة البقرة، آية ٤٥.
(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، (٢٦٩/٨).
(٣) رضا، محمد رشيد، (ت:١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم، الموسوم ب " تفسير المنار "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(١٩٩٠م)(٢٥٠/١).
(٤) البقاعي، نظم الدرر، (١٥١/٨).
(٥) سورة الشرح، الآيتان (٧،٨).
(٦) سورة الحجر الآيات (_٩٧-٩٩).
(٧) الألوسي، روح المعاني، (٨٧/١٤).

وقد طبق الرسول ﷺ هذا الأمر، وامتثل له، فكان ﷺ إذا حز به أمر "اشتد عليه "فزع إلى الصلاة[١]، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[٢]

ولا غرابة في ذلك، فالصلاة وما فيها من حركات متناسقة، من ركوع، وسجود، وقيام، لها دور من الناحية النفسية في إزالة التوتر والقلق، يقول الدكتور جمال ماضي: "إن الوضوء يساعد جسمانيا على التغلب على أعراض التوتر، لذلك فإنه مهم قبل كل صلاة، كما أن الصلاة نفسها تؤدي إلى الراحة، وهدوء النفس، ولا شك أن الصلاة الجماعية في المسجد، والروح الجماعية التي تسود بين المسلمين، تساعد على التغلب على الشعور بالوحدة، وهو الشعور الذي يؤدي إلى الإحباط، والاكتئاب[٣]

وقد وجد النبي ﷺ، وصحابته الكرام حلاوة هذا الشعور الناتج عن الصلاة، لذلك فقد كان يقول ﷺ لبلال: "يا بلال: أقم الصلاة، أرحنا بها[٤].

وفي حديث آخر، قال ﷺ: " حبب إلى النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة[٥] فمن وجد في نفسه ضيقا، وانقباضا، فليهرع إلى الصلاة، ومن شعر بشيء من الإحباط واليأس، فليسارع إلى الوقوف بين يدي الله ﷻ، وليناجي ربه، بإخلاص، وانكسار، وسيجد علاجا ناجحا، وسريعا لما ينتابه من شعور سيئ.

---

(١) أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت بدون ذكر طبعة ولا سنة النشر، كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، رقم (١٣١٩)، (٣٥/٢)، ونص الحديث: " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى "، قال الألباني: حسن، الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:١٤٢٠هـ)، الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي –بيروت، رقم (٨٨٣٢)، (ص: ٨٨٤).

(٢) سورة البقرة آية: ١٥٣..

(٣) ماضي، جمال أبو العزائم، القرآن والصحة النفسية، (ص:٩٣).

(٤) أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم (٤٩٨٥)،(٢٩٦/٤)، قال الألباني: صحيح، الألباني، الجامع الصغير وزيادته، رقم (١٣٨٥١)، (١٣٨٦).

(٥) النسائي، أبو عبدالرحمن، أحمد بن شعيب، سنن النسائي (المجتبى)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب ط(٢/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم (٣٩٤٠)،(٦١/٧)، وهو حديث غريب..

كيف لا، والصلاة صلة بين العبد وربه، وأصل لكل خير، ومنبع لكل سعادة، ومطهرة للذنوب والمعاصي التي تحول بين العبد وبين الشعور بالأمل والرجاء، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾(١)

المطلب الثالث: التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

لما كان مفاد التوكل:" سكون القلب إلى كفاية الله ﷻ، وتفويض الأمور إليه سبحانه، والاعتماد عليه، لعلمه وقدرته "(٢). فقد شكل الالتزام به وتطبيقه والتمثل به، الملاذ الآمن والحصن الحصين، أمام كل المخاوف والهموم والهزات التي تهدد حياة الإنسان المسلم، وتحد من سعادته، ف" من توكل على الله في كل المهمات، كفاه الله تعالى كل الملمات، لقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣)(٤)

يقول ابن عطية في تفسير هذه الآية: "فإن توكلت كفاك، وتعجلت الراحة والبركة، وإن لم تتوكل، وكلك إلى عجزك وتسخطك".(٥) ولا شك أن من يسخط تكون نفسه أرض خصبة لنمو ثمرة اليأس حتى تتمكن من نفسه فتهلكها.

فالمؤمن المتوكل على الله تعالى، لا يقع بين أمواج الحيرة والاضطراب، ولا يجيب داعي اليأس، وذلك لأنه إذا هم أن ييأس من نفسه، بتقطع الأسباب، وتغليق الأبواب، وتغلب الأعداء، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير، ولا يجار عليه، فتتجدد قوته، ويفر منه اليأس، ويتجدد عنه ما اخلولق" من اليأس، فينصره الله تعالي بما يستفيد من الإيمان والذكري والتوكل، وما يخذل به عدوه، ويلقي في قلبه من الرعب، وبغير ذلك من ضروب عنايته ﷻ،

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٢) الجزائري، أبا بكر، جابر، عقيدة المؤمن، دار المنار ص (٩٠) بتصرف.د.ط،د.ت .

(٣) سورة الطلاق آية (٣).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧/١١٧).

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣٢٤/٥).

التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكملة، مع سيد المتوكلين، محمد ﷺ، أيام ضعفهم وقلتهم وفقرهم، وتآلب الناس كلهم عليهم[١]

ولكي يؤتى هذا الخلق ثماره على النفس المؤمنة، يجب أن يكون مقترنا بالأخذ بالأسباب، وبالمقابل، فإنه لا يؤخذ بالأسباب بعيدا عن التوكل على الله.

ذلك " لأن الإنسان إذا توكل، ولم يستعد للأمر، ويأخذ له أهبته، بحسب سنة الله في الأسباب والمسببات، يقع في الحسرة والندم، عندما يخيب، ويفوته غرضه، فيكون ملوما شرعا وعقلا،...[٢]

وإذا هو استعد، وأخذ بالأسباب، واعتمد عليها غافلا قلبه عن الله تعالى، فإنه يكون عرضة للجزع والهلع، إذا خاب سعيه، ولم ينل مراده،.....وربما وقع في اليأس الذي لا مطمع معه في فلاح ولا نجاح[٣]

فها هو سيدنا يعقوب عليه السلام، يلجأ إلى الله ﷻ، ويفوض أمره إليه، بعدما فقد اثنين من أبنائه، وأصابه من الحزن ما أذهب بصره، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[٤]، وفي الوقت نفسه، يدعو أبناءه إلى البحث عن سيدنا يوسف وأخيه، وعدم اليأس من رحمة الله، قال تعالى حكاية عنه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[٥]، أي: احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما، ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾، فإن الرجاء يوجب

(١) اخلولق تعني: بلى ولان واستوى، واخلولق السحاب: استوت وارتفعت جوانبه، وصار خليقا للمطر، كأنه ملس تمليسا، (انظر: ابن منظور، لسان العرب، (١٠/ ٨٨-٩٠) .

(٢) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (٦/ ٢٣٠).

(٣) المرجع السابق (٤/ ١٧٠).

(٤) سورة يوسف آية "٨٦" .

(٥) سورة يوسف، آية ٨٧.

للعبد السعي والاجتهاد، فيما رجاه، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه [١]

وكما يقول الشاعر:[٢]

لا تقعدن بكسر البيت مكتئبا يفنى زمانك بين اليأس والأمل
واحتل لنفسك في شيء تعش به فإن أكثر عيش الناس بالحيل
ولا تقل إن رزقي سوف يدركني وإن قعدت فليس الرزق كالأجل

وقد ذكر أبو بكر الجزائري أن من ثمار التوكل: الشجاعة، واطمئنان النفس، والصبر، والتحمل، مع إمضاء العزيمة، وهذا مما تهدى إليه الآية الكريمة في سورة يونس: ﴿*وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾[٣][٤]

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[٥]، دلالة واضحة على أن الله ﷻ تكفل بالكفاية التامة لمن توكل عليه حق التوكل، وتعهد بمنحه النعمة والطمأنينة والسعادة.

(١) السعدي، تيسير الكريم المنان، ص (٤٠٤).

(٢) هذه الأبيات من شعر الحكم بن أبى الصلت، انظر: ابن أبى الصلت، الحكم، ديوان الحكم بن أبي الصلت ص ١٩٢ د.ط.

(٣) سورة يونس، آية ٧١ .

(٤) الجزائري، أبا بكر،جابر بن موسي، أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة (ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، (٢/٤٩٤).

(٥) سورة آل عمران، الآيتان، (١٧٣-١٧٤).

المطلب الرابع: التمسك بالرجاء والأمل المحمود:

لكي يقف الإنسان في وجه اليأس، ويقاومه، أن يحفز نفسه، ويعودها على التفاؤل، وتأمل المغفرة، والرحمة من الله تعالى، ولكن لا يوصله ذلك إلى القعود، وعدم المبالاة، وبالتالي الأمن من مكر الله، لأن الإنسان المسلم يجب أن يعيش بين الخوف والرجاء، ويوازن بينهما، فلا يغلب جانب الخوف بحيث يوصله إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، ولا يغلب جانب الرجاء بحيث يوصله إلى الأمن من مكر الله، وهذا ما أمرنا الله ﷻ به، حيث قال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1]

" أي: ذوي خوف نظرا إلى قصور أعمالكم، وعدم استحقاقكم، وطمع نظرا إلى سعة رحمته، ووفور فضله وإحسانه [2]

ومن آيات الرجاء قوله تعالى ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[3]

يقول الشوكاني: " واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه، لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولا: أضاف العباد إلى نفسه، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهى عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾، فالألف

(١) سورة الأعراف، آية ٥٦ .

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٢٣٣/٣) .

(٣) سورة الزمر، آية ٥٣.

واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده فهو في قوة: إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك[١] فالرجاء هو العلاج الشافي، والمخلص المثالي مما يعانيه الإنسان من يأس وأوهام، وأحزان.

" والإسلام يشجع المسلمين على التفاؤل، ويرغبهم به، لأنه عنصر نفسي طيب، وهو من ثمرات قوة الإرادة، ومن فوائده: أنه يشحذ الهمم إلى العمل، ويغذي القلب بالطمأنينة والأمل،.....لذلك كان رسول الله ﷺ يحب الفأل، ويكره التشاؤم، فالتفاؤل من الوجوه الباسمة المشرقة، والتشاؤم من الوجوه الكالحة القاتمة [٢]

وفى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[٣]، **تأكيد للوعد، وتعظيم للرجاء، وهذا ما أفاده التكرار**[٤]

المطلب الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر:

إن للإيمان بالقضاء والقدر، والرضا به، نتائجه الإيجابية على الإنسان المسلم، فهو أصل سعادة الإنسان، ومنبع راحته، ذلك لأن الإنسان إذا ما تأمل في مدلولات هذه العقيدة، واستشعر معناها، وتعمق في فهمها وتطبيقها، لن تضره – بإذن الله –الابتلاءات والمحن، ولن ينتابه الهم والقلق، ولن يخسر راحة البال، وطمأنينة النفس، لأنه يعلم أن ما حصل كان بعلم الله، وتقديره، وأن ما سيحصل هو أيضا مقدر ومكتوب عند الله تعالى، فيعيش قرير العين، مطمئن البال، يحدوه الأمل والرجاء.

وقد ذكر الجزائري أن من ثمرات الرضا بالقضاء، ومن نتائجه السارة: " أنه يكسب صاحبه قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة، إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٤/٤٧٠).

(٢) الميداني، الأخلاق الإسلامية، (٢/١٦ر٣)، بتصرف. .

(٣) سورة الشرح، الآيتان (٥،٦).

(٤) البغوي، معالم التنزيل، (٤/٥٠٢).

يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة، والتردد، وانتفي من حياته القلق، والاضطراب، لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما، قدم عليه في غير ما خوف، ولا رهبة، ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماض، ولا يغتم لحاضر، ولا يؤلمه هم المستقبل، وبذلك يكون أسعد الناس حالا، وأطيبهم نفسا، وأصلحهم بالا "[١]

وكيف يتمكن اليأس من قلب مؤمن موحد بالله، وهو يطالع قول الله ﷻ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[٢]، "وقيمة هذه الحقيقة في النفس البشرية، أن تسكب فيها السكون، والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها، فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعا، وتذهب معه حسرات عند الضراء، ولا تفرح الفرح الذي تستطار به، وفقد الاتزان عند السراء.

المطلب السادس: حسن الظن بالله ﷻ:

الإنسان الذي ظن أن الله ﷻ سيرحمه، ويغفر له، سيختصر على نفسه طريقا شاقا محاطا بأشواك اليأس والقنوط، وسيحظى برضا الله، ورحمته، وبسعادة لا حد لها بإذن الله تعالى.

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب

(١) الجزائري، عقيدة المؤمن، (ص:٣٤٨).
(٢) سورة الحديد، الآيتان، (٢٢-٢٣).

إلى شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة "[١]

وقد رجح النووي أن يكون المراد من حسن الظن بالله في هذا الحديث هو: الرجاء، وتأميل العفو [٢]

ففي حسن الظن بالله، علاج لكل هم وضيق، ويأس، وراحة للروح، والقلب، والنفس، فمن حسن ظنه بالله، عاش متفائلا، مقبلا على فعل الخير، ومن ساء ظنه بالله، عاش متشائما مدبرا عن كل خير، وقد قيل: قتل القنوط صاحبه، وفى حسن الظن بالله راحة القلوب "[٣].

وما ذلك إلا لأن " القلب المؤمن، حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائما، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين، وسر ذلك أن قلبه موصول بالله "

وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل "[٤]

المطلب السابع: الإكثار من الدعاء وذكر الله:

تكفل الله ﷻ بإجابة دعوة المضطر، والملهوف، وتحقيق مبتغاه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٥]، فالمضطر في لحظات الكربة، والضيق، لا

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ويحذركم الله نفسه} وقوله جل شأنه "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك "رقم (٦٩٧٠)،(٦/٢٦٩٤)..

(٢) النووى، صحيح مسلم بشرح النووى،(٢/١٧).

(٣) الماوردي، أبو الحسن، على بن محمد، (ت:٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الإيمان – المنصورة، (د،س،ت) ص:٢٢٧).

(٤) ابن القيم، أبا عبدالله، محمد بن أبي بكر (أيوب)الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط٢/١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (١/٤٦٩--٤٧١).

(٥) سورة النمل، آية ٦٢ .

يجد له ملجأ إلا الله، يدعوه، ليكشف عنه الضر، والسوء، ذلك حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوي،....وينظر الإنسان حواليه، فيجد نفسه مجردا من وسائل النصرة، وأسباب الخلاص، لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده، في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة، فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله، ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[١]،

يقول الشيخ المراغي: " ودعاء المولى حين الشعور بالعجز، والافتقار إليه، مما يقوي الأمل بالإجابة، ويحول بينها وبين اليأس إذا تقطعت الأسباب، وجهلت وسائل النجاح"[٢]

ولو لم يكن للدعاء فائدة إلا هذا لكفى، فكيف وهو مخ العبادة، ولبابها، وإجابته مرجوة بعد استكمال شروطه، وآدابه، وأولها: عدم الاعتداء فيه، فإن لم تكن بإعطاء الداعي ما طلبه، كانت بما يعلم الله أنه خير له منه "[٣]

وقد علمنا رسول الله ﷺ: حديثا يزيل الهم والحزن، قال ﷺ: " ما أصاب أحدا قط، هم، ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل

(١) سورة الأعراف، آية ٥٦.

(٢) المراغي، تفسير المراغي، (١٧٩/٨).

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (٤١٠/٨).

القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا "[١]

ومن دعاء النبي ﷺ المأثور: "اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال "[٢] فاللجوء إلى الله تعالى في وقت الشدة يؤنس الإنسان من الوحشة ويطمأن قلبه ولا يتخلله اليأس.

المطلب الثامن: الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط:

لقد كان من منهج القرآن الكريم في علاج اليأس، النهي عن فعله، والتحذير من الوقوع فيه، وكان ذلك في أكثر من آية في القرآن الكريم، والإنسان المسلم بدوره يستجيب لهذا الأمر الإلهي، لكي يتسنى له التغلب على الشعور باليأس، ومحو شروره التي تحيط به، ومن هذه الآيات ما جاء فيها النهى عن اليأس والقنوط مباشرا صريحا، ومنها ما جاء فيها النهي بصورة غير مباشرة، ولكن المعنى المأخوذ من هذه الآيات كان واضحا جليا.

ومن الآيات التي كان النهى عن اليأس فيها صريحا، قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[٣]أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا، وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها، ولا

(١) ابن حنبل، أحمد، (ت:٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة –مصر، د.ط.د.ت (٣٧١٢)،(٣٩١/١)، قال الألباني في السلسة الصحيحة: رواه أحمد وهو صحيح، الألباني، محمد ناصر الدين، السلسة الصحيحة، مكتبة المعارف –الرياض، د.ط.د.ت،(٣٨١/١).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، رقم (٦٠٠٨)، (٢٣٤٢/٥).

(٣) سورة الزمر، آية ٥٣.

سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين بما يغضب عليكم الرحمن[١]

ومنها قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[٢]

وقد نهى الله ﷻ سيدنا إبراهيم عليه السلام عن اليأس والقنوط، في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ٥٤ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ٥٥﴾[٣]

وهذا النهي لا يعنى أن سيدنا إبراهيم كان قانطا، بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك، فقال: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾[٤]، ولكن في هذا النهى درس، وتوجيه للمسلمين عامة لكيلا يقنطوا من رحمة الله، مهما اشتد بهم البلاء، وكثر الحرمان.

وجاء النهى بصورة غير مباشرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، فالإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله، هذا ما قاله: محمد بن سيرين، وعبيدة السلماني، وقال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب، فيقول قد

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٧٢٧) .
(٢) سورة يوسف، آية ٨٧.
(٣) سورة الحجر، الآيات: (٥١-٥٥).
(٤) سورة الحجر، آية ٥٥ .

هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وما هذا إلا " لأن الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه، ملق بيديه إلى التهلكة[١]

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ، قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ، [٢]أي: لا يموتن أحدكم في حال من الأحوال، إلا في هذه الحالة، وهي حسن الظن بالله تعالى، بأن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه، لأنه إذا حضر أجله، وأتت رحلته، لم يبق لخوفه معني، بل يؤدي إلى القنوط، فحسن الظن، وعظم الرجاء، أحسن ما تزوده المؤمن لقدومه على ربه[٣].

قال العلماء: "هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة [٤]

وبعد، فإن في أسلوب القرآن الكريم هذا – وهو أسلوب النهى عن اليأس – رادع فعال، ووسيلة ناجحة، للحد من الوقوع في اليأس، وإن من استجابة المؤمن لهذا الأسلوب، وهذه الوسيلة، خير دواء، وخير علاج لأعراض مرض اليأس، وشرره.

المطلب التاسع: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى والتوبة:

إن من فضل الله تعالى على عباده، ورحمته بهم، أن جعل باب التوبة مفتوح للمذنبين والعصاة، وحتى الكفار، إذا هم ندموا على ما فرطوا في جنب الله، وشعروا بالتقصير والحاجة للإنابة، والرجوع إلى الله، والناظر في القرآن الكريم، يجد الكثير من الآيات التي تبين سعة رحمة الله تعالى، وعظيم فضله وكرمه، ويدخل في إطار سعة رحمة الله تعالى، الآيات التي اقترنت فيها المغفرة مع العقوبة، أو الرحمة مع العقوبة، فالمذنب الذي أسرف على نفسه، عندما يطالع مثل هذه الآيات، ويؤمن

(١) الطبري، جامع البيان، (٢/٢٠٥).

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (٢٨٧٧)(٤/٢٢٠٦).

(٣) الطبري، جامع البيان، (٢/٢٠٥).

(٤) النميسي، محمد عبدالحميد، وذلك في تحقيقه لكلام المقريزى، تقي الدين، أحمد بن على، (ت:٨٤٥هـ) / إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، دار الكتب العلمية –بيروت، (ط ١/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، (١٤/ ٤٩٥).

بسعة رحمته تعالى، فإنه ينفض عن نفسه غبار اليأس، ويفتح لها أبوابا من الأمل والرجاء.

ومن الآيات الدالة على سعة رحمة الله، والتي تبعث الأمل في نفوس العباد، وتبعد اليأس عنهم، قول المولى عزو جل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1]، فجاء الاعتراض بين المعطوف، والمعطوف عليه، وهو: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تصويبا للتائبين، وتطييبا لقلوبهم، وبشارة لهم، بوصف ذاته بسعة الرحمة، وقرب المغفرة، وإجلالا لهم، وإعلاء لقدرهم، بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأن من كرمه: التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأن العبد إذا التجأ إليه في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه، عفا عنه، وتجاوز عن الذنوب، -وإن جلت –فإن عفوه أجل، وكرمه أعظم، وتحريضا للعباد على التوبة، وبعثا عليها وعلى الرجاء، وردعا عن اليأس والقنوط[2]

"وفي ضمن معنى الاستغراق: قلع اليأس والقنوط، ولهذا علل سبحانه النهي في قوله تعالى: " لا تقنطوا من رحمة الله "، بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[3][4]

وقد فتح الله باب الأمل، ومنع اليأس بقوله جل في علاه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[5]أي: إن رحمة الله وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب

(١) سورة آل عمران (١٣٥).

(٢) حقي، إسماعيل بن مصطفي، (ت:١١٢٧هـ)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي –بيروت، بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر، (٧٨/٢)، بتصرف.

(٣) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٤) الألوسي، روح المعاني، (٦١/٤) .

(٥) سورة النجم، آية ٣٢.

منها، كما قال تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1][2]، وفي هذا " ما يدفع اليأس عن صاحب الكبيرة في غفران ذنبه[3]

وفي قصة آدم عليه السلام، دعوة صريحة إلى عدم اليأس والقنوط، وفيها نشر لفضاء واسع من الأمل والرجاء، فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى حال آدم عليه السلام وزوجه مع إبليس –لعنه الله – وكيف ارتكبا خطيئة بالأكل من الشجرة المشار إليها في الآيات، فتح لهم باب التوبة قائلا " ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[4]" وخطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة، وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية، والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة، تصور مريح صريح، يحمل كل إنسان وزره، ويوحى إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط.

ومن الآيات التي اقترن ذكر العقوبة مع الرحمة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[5]، وتحت هذه الآية يقول ابن كثير: "وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة، لئلا يحصل اليأس، فيقرن تعالى بين الترغيب، والترهيب كثيرا، لتبقي النفوس بين الرجاء، والخوف [6].

وبعد هذه الجولة العلاجية لداء اليأس، يتبين أن خط الدفاع الأول، والبارز في قضية العلاج هو:

---

(١) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٢) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، (١٢١/٢٧).

(٣) المراغي، تفسير المراغي، (٦٠/٢٧).

(٤) سورة البقرة آية ٣٧.

(٥) سورة الأعراف آية ١٦٧.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦٠/٢).

الإيمان القوي الصادق، النابع من قلب متصل بالله عزو جل، ويندرج تحت هذا الإطار بقية الأطر العلاجية، فالأنسان عندما يرتفع منسوب الإيمان واليقين لديه، تتحسن علاقته بخالقه وتعتدل، فيزداد توكله عليه، ويقوي حسن ظنه به ﷻ، وتتعمق لديه قضية الإيمان بالقضاء والقدر، فيتوجه إلى الله بالدعاء والاستغفار، وهذا كله من شأنه أن يرفع مستويات الأمل، ورجاء المغفرة والرحمة من الخالق ﷻ، ويضع الإنسان في حصن منيع، لا تقوي عوامل الهدم من يأس، وحزن، واكتئاب، وقلق، على الفتك به، أو تقويض بنيانه، فيعيش حالا وسطا، بين الخوف من عذاب الله، والطمع في مغفرته ورضوانه.

وهذه المحطات العلاجية، والوقفات المضيئة، يمكن أن تستخدم كسبل وقاية، وأساليب حماية، تقوم بتحصين المسلم، وحمايته قبل الوقوع في شباك اليأس والإحباط.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تقبل الطاعات، أحمده سبحانه على ما يسر وأعان، ودبر وألان، وأصلي وأسلم وأبارك على إمام الدعاة وسيد الأخيار، معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه الكرام وبعد.

فإنه من المفيد في ختام هذه الدراسة، وبعد التجوال، والتطواف في كتب التفسير، وكتب الأخلاق فيما يتعلق بموضوع الدراسة، أن تورد الباحثة أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

١- كل ما جاء في القرآن الكريم من يأس فهو بمعنى القنوط إلا آية الرعد ﴿أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] جاءت بمعنى، العلم.

٢- من صور اليأس الواردة في القرآن الكريم -، اليأس من رحمة الله، وهو يعد من باب سوء الظن بالله، ويطلق عليه اليأس المذموم، وبالمقابل هناك يأس محمود، وهو اليأس مما في أيدي الناس، وقطع الرجاء بهم، ولكنه لم يذكر في القرآن الكريم، وإنما ورد ذكره في ثنايا كتب الأخلاق والزهد والحديث.

٣- من صور اليأس الواردة في القرآن الكريم، يأس اليهود والكفار والمنافقين ومن تخلق بأخلاقهم وحذا حذوهم من الآخرة، أن يرحمهم الله فيها ويغفر لهم.

٤- يأس الكفار من هزيمة دين الله، والصد عنه، يعد بشارة ووعدا من الله ﷻ بنصرة هذا الدين، ونصرة نبيه الكريم، وعباده المؤمنين، ويعد دافعا قويا للمسلمين في طريق محاربتهم لأعداء الدين، في الوقت الذي تزول فيه خشيتهم من القلوب، بسبب ضعفهم الناتج عن يأسهم من النيل من دين الله.

٥- هناك علاقة وثيقة، وتلازم قوي بين الكفر واليأس.

(١) سورة الرعد الآية ٣١.

٦- ارتكاب المعاصي والذنوب، كفيل بأن يوقع الإنسان في أوهام اليأس والقنوط، في حال عدم توبته، وعدم رجوعه إلى الله ﷻ.

٧- الابتلاءات والمحن محطات صعبة في مسار الحياة، قد توقع صاحبها في اليأس والقنوط، وكلما ازداد منسوب الإيمان في النفس، واشتد تغلغله في جنباتها، كان استيعاب النفس للابتلاء أشد، وصبرها عليه أعمق.

٨- من أهم سبل العلاج التي تقي الإنسان شرور اليأس والاكتئاب: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح.

٩- تدور سبل الوقاية والعلاج من اليأس حول التوكل على الله ﷻ، والإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح، والالتجاء إليه سبحانه بالذكر والدعاء، والاستجابة لأمره بالتمسك بالأمل والرجاء، كل هذا موشح بحسن الظن بالله ﷻ، وتوقع الخير منه دائما في كل الظروف وفي كل الأوقات.

١٠- النهي عن اليأس والقنوط يعد أسلوبا من أساليب القرآن الكريم في علاج اليأس، واستجابة المؤمن لهذا الأسلوب، تعد خير دواء، وخير علاج لمرض اليأس، وشرره.

١١- من أساليب القرآن الكريم التي من شأنها أن تحد من ظاهرة اليأس والقنوط: إيراد الآيات الكثيرة التي تبين سعة رحمة الله بعباده، وتوبته عليهم، وأن إيمان العبد بهذه الرحمة الواسعة كفيل بأن يضع الإنسان في حالة وسط بين الخوف والرجاء، فيكون أبعد ما يكون عن اليأس.

ثبت المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم جل من أنزله.

ثانيا: في علوم القرآن الكريم وتفسيره:

١- الألوسي، أبو الفضل محمود (ت: ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، (ت: ٥١٦ هـ) معالم التنزيل في التفسير، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت، د.ت.

٣- البقاعي أبو الحسن، برهان الدين ابراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط،(١٤١٥هـ/١٩٩٥م)

٤- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥ هـ)، تفسير البيضاوي الموسوم بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) دار الفكر – بيروت،(د.ت).

٥- الثعالبي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت،(د.ط)،(د.ت).

٦- الجزائري، أبو بكر، جابر بن موسى:

- أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، (ط ٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- عقيدة المؤمن، دار المنار، د.ط.

٧- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت:٥٩٧ هـ):

- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت (ط٣/١٤٠٤ هـ)

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط١/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٨- حقي، اسماعيل بن مصطفى، (ت:١١٢٧هـ)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

٩- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١/١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م).

١٠- الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، (ت بعد ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة،

١١- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت:٦٠٤ هـ)التفسير الكبير المرسوم بـ (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط ١٤١٢/١ هـ/٢٠٠٠م).

١٢- رضا، محمد رشيد، (ت: ١٣٥٤ هـ)، تفسير القرآن الحكيم، الموسوم بـ (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط – بيروت، (ط ١٤١٢/١ هـ/٢٠٠٠م).

١٣- الزحيلي، وهبه بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر – بيروت، ط (١٤١٨ هـ)

١٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د،ت)

١٥- السعدى، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦ هـ):

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة– بيروت (ط ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م).

- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، مؤسسة النور، الرياض، ط (١٣٧٨هـ).

١٦- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت: ٩٨٢هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د،ت).

١٧- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت،(ط ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م).

١٨- الشوكاني، محمد بن على بن محمد (ت: ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر – بيروت (د،ت).

١٩- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر – بيروت، ط (١٤٠٥هـ).

٢٠- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣ هـ) التحرير والتنوير، دار سحنون – تونس، (ط ١٩٩٧ م).

٢١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر – بيروت، (ط ١٤٠١هـ)(١٩٨/١).

٢٢- النسفي، أبو البركات عبد الله بن محمود (ت: ٧١٠ هـ)، تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس – بيروت، (ط ٢٠٠٥ م).

ثالثا: في الحديث الشريف وعلومه وشروحه:

١-الألبانى، محمد ناصر الدين، (ت: ١٤٢٠ هـ):

- الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت.

- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، د،ت.

٢- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، الموسوم بـ (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، ط(١٤٠٧/٣ هـ/١٩٨٧ م)

٣- ابن حنبل، أحمد، (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة (د,ط)

٤- أبو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر – بيروت، (د،ط)

٥- ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد الحنبلي(ت: ٧٩٥ هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باحس، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط١٤١٧/٧ هـ/١٩٩٧ م).

٦- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة الزهراء – الموصل، (ط١٤٠٤/٢ هـ/١٩٨٣ م).

٧- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

٨- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، (ط١/١٣٥٦هـ).

٩- النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، سنن النسائى (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، (ط٢/١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م).

١٠- النووى، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مرى (ت:٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط٢/١٣٩٢هـ)

رابعا: في المعاجم واللغة والغريب:

١- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد (ت:٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت (ط١/٢٠٠١ م).

٢- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلانى، دار المعرفة – لبنان، (د,س,د،ت)

٣- توفيق، محمود، شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، (ط١/١٤٢٢هـ).

٤- الرازي، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١ هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، (ط ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م).

٥- الزبيدى، محمد مرتضى الحسينى (ت ١٣٠١ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية د.ط، د،ت.

٦- ابن سيده، أبو الحسن، على بن اسماعيل المرسى (ت: ٤٥٨ هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط ١ /٢٠٠٠ م). –

٧- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدى المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

٨- الفيروز آبادى، مجد الدين بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ط، د.ت.

٩- ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت:٧٥٠هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، (ط١/١٤١٠هـ).

١٠- أبو هلال العسكري، الحسن عبد الله بن سهل (ت: ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة، د.ط، د.ت.

خامسا: كتب عامة:

١- ابن أبى الصلت، الحكم، ديوان أمية بن أبي الصلت، د.ط.

٢- ابن جنى، أبو الفتح، عثمان، (ت: ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، علم الكتب – بيروت، د.ط، د.ت.

٣- ابن حبان البستى، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت:٣٥٤هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت – (ط ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م)

٤- خالد، عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة دار ابن القيم، الرياض الطبعة ١، ١٤٣٤هـ، (٣٩/٢-٤٠)

٥- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت(٧٤٨هـ)، الكبائر، ط الأنوار المحمدية – القاهرة.

٦- الطحاوي، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت: ٣٢١ هـ)، العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم – بيروت، (ط١/١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م).

٧- العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١ هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجديدة، (ط١ سنة ١٤٢٣ هـ).

٨- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت: ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٩- ابن القيم، أبا عبد الله، محمد بن أبى بكر (أيوب)الزرعي، (ت:٧٥١هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية –بيروت،(ط٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)

١٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط٢/١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (١/٤٦٩--٤٧١).

١١- الماوردي، أبو الحسن، على بن محمد، (ت:٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان – المنصورة، بدون ذكر طبعة ولا سنة النشر.

١٢- ماضي، جمال أبو العزائم،القرآن والصحة النفسية،(تأملات في الآيات القرآنية المتعلقة بالصحة النفسية) ط(١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

١٣- معمرية، بشير، بحوث في علم النفس، المكتبة العصرية – المنصورة (ط١/٢٠٠٩ م)

*-المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية _ بيروت،(ط٣/١٤١٥هـ)

١٤- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم – دمشق ط٥/١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م)

١٥- النميسي، محمد عبد الحميد، وذلك في تحقيقه لكلام المقريزى، تقى الدين، أحمد بن على، (ت: ٨٤٥ هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١/١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م).

١٦- الوطواط، أبو اسحاق، برهان الدين، محمد بن إبراهيم، (ت: ٧١٨ هـ)، مباهج الفكر ومناهج العبر،(د.ط)،(د.ت).

****